

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل ط1 : 1435103636

رقم التسجيل ط2 : 1435102241

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث
و معاصر بعنوان:

الارتباط بالوطن في رواية أرض البرتقال الحزين
لـ " غسان كنفاني "

إعداد الطالبتين:

خديجة قاسم

مريم قادري

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الاساتذة:

رئيسا	جامعة المسيلة	الرتبة : محاضر أ	عبد العزيز بوشاللق
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	الرتبة : محاضر أ	إبراهيم زلافي
ممتحنا	جامعة المسيلة	الرتبة : مساعد أ	عمر جادي

السنة الجامعية: 1439/1440هـ - 2018/2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

لله الفضل من قبل ومن بعد فالحمد لله الذي منحنا القدرة على إنهاء هذا العمل المتواضع، وبعد نتوجه بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام وأسمى معاني العرفان إلى الأستاذ الفاضل الدكتور: زلافي إبراهيم على مساعداته لإتمام هذا العمل وعلى كل النصائح والإرشادات الصائبة ونسأل الله أن يجزيه عنا خيرا ويجعله ذخرا لأهل العلم والمعرفة كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها وإلى كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد.

مقدمة

مقدمة:

عرفت الرواية العربية تطورا كبيرا وانتشارا واسعا، مما مكنها أن تحتل مكانة بارزة بين الأجناس الأدبية الحديثة، نتيجة امتلاكها مقومات التأثير في المجتمع وتميزها عن غيرها من الفنون بقدرتها على احتواء هموم الإنسان ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وقد برز هذا بشكل واضح في الرواية الفلسطينية التي صورت صراع الإنسان الفلسطيني، وتفاعله مع قضيته ومعاناته، وقد شكل الوطن الموضوع الأساسي لدى الروائي الفلسطيني.

يعتبر غسان كنفاني أفضل من عبر عن وطنه الجريح حاملا همه وقضيته التي أثرت في وجدانه، فكتب أجود الروايات والقصص عن ذاكرة الوطن المفقود، فكانت رواية أرض البرتقال الحزين أحسن مثال عن حب الوطن والتضحية من أجله حيث جسدت هاته الرواية وطنية كنفاني التي عاش ومات من أجلها، وقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع رغبتنا الشديدة لاكتشاف العالم الروائي لدى غسان كنفاني ورغبة التطلع على الأدب الفلسطيني بشكل عام، بالإضافة إلى عنوان هاته الرواية الذي أثار فضولنا، أما الإشكال الذي نسعى للإجابة عنه من خلال دراستنا هذه فقد تمثل في :

- كيف استطاع غسان كنفاني أن يعبر عن الواقع الفلسطيني من خلال روايته ؟
- إلى أي مدى ارتبطت شخصيات وأماكن أرض البرتقال الحزين بالوطن الفلسطيني ؟ وكيف استطاعت تجسيد الواقع المعاش ؟

ولأن البحث يحتاج إلى خطة تحدد اتجاهه ومعالم الدراسة فيه فقد جاءت خطة هذا البحث مكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة لأهم النتائج بالإضافة إلى مدخل حول الرواية أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان "ماهية الوطن والوطنية وتجلياتها في الأعمال الأدبية العربية"

والفصل الثاني كان فصلا تطبيقيا موسوما بعنوان " تجليات الوطن في رواية أرض البرتقال الحزين " وقد اعتمدنا في دراستنا المنهج الوصفي مع بعض آليات المناهج الأخرى

أما من أهم المصادر والمراجع التي كانت زادا لهذا البحث:

- رواية أرض البرتقال الحزين لغسان كنفاني

- غسان كنفاني الكلمة والجرح لحيدر توفيق بيضون

- الأدب الروائي عند غسان كنفاني لرفيقة البحوري

- جمالية المكان لمهدي عبيدي

ومن الصعوبات التي واجهتنا في عملية البحث: قلة الدراسات السابقة وعدم توفر

المراجع اللازمة، صعوبة تحديد الجنس الأدبي لأرض البرتقال الحزين فمن النقاد من يعتبرها رواية ومنهم من يرى أنها مجموعة قصصية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان لأستاذنا الذي كان عوناً لنا

في بحثنا والذي لم يبخل علينا بالنصائح والتوجيهات لإتمام هذا البحث

مدخل

التعريف بالرواية

أولاً: تقديم رواية "أرض البرتقال الحزين"

ثانياً: ملخص الرواية

أولاً: تقديم رواية " أرض البرتقال الحزين "

تنتمي رواية أرض البرتقال الحزين إلى الأدب الفلسطيني، صدرت طبعها الأولى عام 1962م، الطبعة الثانية عام 1980م، الطبعة الثالثة عام 1983م أما الطبعة الرابعة فكانت عام 1987م، وهي رواية تتألف من ثمانية قصص بلغت في مجملها 100 صفحة، حققت نجاحاً كبيراً حيث "نشرت للمرة الأولى في بيروت عام 1962، وترجمت بعض قصصها إلى الانكليزية والألمانية والنرويجية والسويدية وستنشر إلى جانب عدد من روايات كنفاني وقصصه باللغة الدانمركية، كما ستنشر سبع قصص مختارة منها باللغة البولندية"¹ تعطي الرواية حيزاً كبيراً لمفهوم الوطن والوطنية وتبين مأساة ومعاناة الفرد الفلسطيني.

نالت رواية أرض البرتقال الحزين العديد من الدراسات من بينها دراسة حيدر توفيق بيضون في كتابه "غسان كنفاني الكلمة والجرح" بالإضافة إلى دراسة صبحية عودة زعرب في كتابها " غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي " .

¹ - غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط 4، 1987م، ص: 8.

ثانياً: ملخص الرواية

يبدأ غسان روايته بقصة "أبعد من الحدود" التي تحكي عن رجل ذي منصب ومكانة عاد إلى منزله بعد يوم شاق من العمل، وبينما هو يستمتع بالدفء ويتلذذ بالحساء الساخن، ويحكي لزوجته عن شاب هرب من النافذة، يعود هذا الشاب مرة أخرى من النافذة ويطلب منه أن يسمح له بالحديث وأن لا يقاطعه، يبدأ الشاب بسرد قصته بادياً بالتعريف عن نفسه وأهله وكيف هو وحيد بسبب تشرد وموت باقي أفراد عائلته ثم يعرض عليه جريمته التي كانت رفضه بيع وطنه وهل عليه أن يصبح خائناً لكي ينعم بالحياة السعيدة غير أن الرجل لم يهتم بكلامه، ثم يتحدث له كيف أنهم حولوه من إنسان إلى حالة وكيف لو أن الجميع يصرخ دفعة واحدة؛ أية حياة هذه، الموت أفضل منها، وهنا ينصرف الشاب ويترك الرجل.

أما القصة الثانية فهي قصة "الأفق وراء البوابة"، تبدأ بوصول شاب فلسطيني إلى بلدته بعد غياب دام عشر سنوات، فيقضي ليلته الأولى بفندق وهو حائر كيف سيلتقي بأمه ويخبرها الحقيقة وكيف ستكون ردة فعلها عند سماعها الخبر خاصة أنه أوهما عبر الإذاعة أنه هو وأخته دلال - التي توفيت - بخير، ثم يذهب في صباح اليوم التالي إلى بوابة مندلبوم ليلتقي بأمه التي لم تأتي لكنه يرى خالته، وفي غمرة اللقاء تسأله عن دلال فيبادرها بالسؤال عن أمه وهنا يطبق الصمت ولا يستطيع كل منهما الإجابة.

تبدأ أحداث القصة التالية "السلاح المحرم" تدور أحداث هاته القصة حول أبوعلي الرجل البسيط الذي يحس بوعكة فيخلق دكانه ويهم بالذهاب إلى بيته، غير أنه في طريقه يرى رجال القرية ملتقين في حلقة حول أمر ما، لكن ما يثير فضوله هو وقوف عبد الله بجانب فاروق وهما يكرهان بعضهما كرها شديدا فيقرر الانضمام إلى الحلقة وعند وصوله يرى جندياً مسلحاً في وسط الجماعة والجميع يفكر بخطر بندقيته ولكنهم مترددون، هنا يعزم أبوعلي على خطف بندقيته التي يحتاجها لحماية بيته والقرية من الضباع في الشتاء

فبيته يقع في أول القرية وورثه من أجداده وورث معه حماية القرية دون أن يكلف من قبل أي شخص، يستطيع أبو علي أن يخطف البندقية بمساعدة أهل القرية ثم يفر بعيداً، وبينما هو يركض يعترض طريقه شخصان ليسرقوا منه البندقية إلا أنه لم يستسلم وعرفهما فتفاجأ كيف أن اتفاقاً معاً رغم كل الكراهية، وأجبروه على الجري فقد كان هناك من يلاحقهم وفجأة انتبه أبو علي أن هذا الطريق ليس طريق بيته ولكنه لم يستطع الإفلات من قبضتهم وعرف أنه لا مناص.

تحتوي قصة ثلاث "أوراق من فلسطين" أول ورقة وهي "ورقة من الرملة" والتي يسرد فيها طفل صغير دخول الصهاينة إلى فلسطين وكيف أمره هو ومن معه الوقوف تحت الشمس ورفع أيديهم في الهواء، وعندما لاحظ جندي أن أمه تحاول أن تقيه حرارة الشمس أمره بالابتعاد والوقوف على ساق واحدة، ثم قامت مجندة يهودية بإطلاق النار على فاطمة الصغيرة ابنة أبي عثمان أمام ناظرهم جميعاً ثم قتل جندي زوجته فتأثر الجميع بهذا المنظر وتعاطفوا مع أبي عثمان الرجل المسالم المحبوب عند أهل القرية وخاصة أنه جعل من دكانه مخزناً للأسلحة التي كان يوزعها على أقاربه ليقوموا بواجبهم في المعركة. بعد أن يدفن أبو عثمان زوجته وابنته يعود إلى غرفة القائد ليعترف بما يعرف فيسمع الناس انفجاراً هائلاً ضاعت معه أشلاء أبي عثمان وضاع حلمه الذي لطالما تمناه وهو أن يدفن في مقبرة الرملة ذلك أنه عندما ذهب إلى دكانه قبل أن يدفن زوجته لم يعد بالفوطة البيضاء وحدها.

تأتي الورقة التالية وهي "ورقة من الطيرة" التي يحكي فيها بائع عن زبون يشتري منه كل مساء ثلاثة أقراص من العجوة ثم يحكي عن شرطي أهانه برفع طبق العجوة على رأسه ودفعه دفعا شديداً كأنه يهودي، رغم أنه جندي خاض العديد من المعارك مع إبراهيم أبو دية الذي أمضى حياته وهو يحارب واقفاً على قدميه فقد كان أشجع رجل رآه وكيف توفي دون أن يعلم به أحد، توفي وهو يستمع لنشيد موطني ودفن ممسكاً بالورد بيديه. كما يحكي قصص العديد من الأبطال كحمد الحنيطي الذي رفض الاستسلام لليهود وفجر نفسه ورفض بيع

وطنه ثم ينهي قصته بأنه واثق من نفسه بأنه سوف يأتي اليوم الذي يجيء فيه من فلسطين ماشيا على قدميه ويبحث عن ذلك الشرطي الذي أهانه ويدعوه لقضاء شهر كامل في الطيرة على حسابه.

تختلف الورقة الثالثة والأخيرة "ورقة من غزة" عما سبقها من القصص فقد اتخذت شكل رسالة يرسلها شاب فلسطيني إلى صديقه في كاليفورنيا يخبره فيها أنه لن يلحق به كما وعده سابقا وأنه سيظل في غزة، غزة التي كان يراها مكانا ننثا لا يصلح للعيش وأنها أضيق من نفس نائم أصابه كابوس مريع ثم لا يلبث أن تتغير نظرتة حول غزة التي أصبح يراها غزة جديدة كل الجدة والسبب في ذلك ابنة أخيه ناديا ذات الأعوام الثلاثة عشر التي فقدت ساقها عندما قررت أن تتخذ إخوتها وتحميهم من القنابل واللهب، فأصيبت وخسرت ساقها رغم أنه كان باستطاعتها الهرب والنجاة بنفسها، وهكذا تعلم منها درسا في التضحية بالذات من أجل الآخرين وفي الأخير يختم رسالته بأنه ليس أسفا البتة وأنه لن يكمل ما بدأه سوريا منذ طفولتهما.

أما القصة الرئيس فهي قصة "أرض البرتقال الحزين" وهي عبارة عن سيرة ذاتية الراوي فيها أحد أبطال القصة يروي لأخيه ما حدث يوم خروجهم من فلسطين وعبورهم عبر حقول البرتقال وكيف أن النسوة أخذوا معهم البرتقال الذي خيل إليه أنه شيء عزيز وكيف كان والده ينظر إلى البرتقالة بصمت ثم انفجر باكيا، ثم يصف دخولهم إلى لبنان وكيف أصبحوا لاجئين وما كان يستثيره ذلك في نفسه من مخاوف، بعد ذلك يصف فرحة والده بدخول الجيوش العربية إلى فلسطين آملا في استرجاع فلسطين ثم لا يلبث أن ييأس ويستسلم لضياح فلسطين فيسقط مريضا وبجانبه برتقالة جافة يابسة.

تحكي لنا قصة "قتيل في الموصل" عن شاب عربي يدرس بجامعة بغداد عاش في فترة زمنية جرت فيها أحداث التغيير السياسي في العراق، هذا الشاب الذي لا يريد شيئا من

الحياة ومستسلم لقدره، يتغير فجأة ويشارك في الحرب في الموصل فيقتل من قبل الجراد والصراصير التي تمثل الخونة نظرا لفكرة أن كل عربي تطأ قدماء أرض العراق يقتل لأنه عربي وقد كان مشهد موت الشاب مؤثرا جدا حيث قتل على الطريق وهو منحني على ركبتيه كأنه يصلي.

يختم غسان روايته بقصة "لا شيء" والتي تبدأ بحوار بين الممرض والعسكري في أروقة المشفى هذا العسكري الذي اتهم بالانهيار العصبي لقتله العديد من الأشخاص وإطلاقه الرصاص دفعة واحدة ينكر إصابته بهذا المرض لأنه تعمد ذلك وكان ذهنه مشوشا ولديه أمور لم يستطع التصريح بها وهكذا انتهت القصة دون أن يقول شيئا.

الفصل الأول

تجليات ماهية الوطن

أولا : مفهوم الوطن والوطنية

1. لغة

2. اصطلاحا

3. الوطنية من منظور شرعي

ثانيا: مظاهر الوطنية في الأعمال الأدبية العربية

1. محمود درويش

2. أبو القاسم الشابي

3. حافظ إبراهيم

ثالثا: غسان كنفاني والأدب

1. لمحة عن الكاتب غسان كنفاني

2. أدبه.

3. غسان والقضية الفلسطينية

أولاً : مفهوم الوطن والوطنية

يشكّل الوطن هاجساً كبيراً في التكوين العاطفي للإنسان أيّاً كان ، فلا نتصوّر مثلاً أنّ أيّ إنسان يستطيع أن يكون سويّاً من الناحية العاطفيّة وهو فاقد لوطنه ، فهذه العاطفة تُملّي على الإنسان حبّ التضحية والفداء للوطن.

1. لغة:

تكاد معاجم اللّغة العربيّة تُجمع على أنّ لفظ الوطنيّة لغة يحمل نفس المعاني، ففي لسان العرب في مادّة (و.طن.ن)، الوطن : المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحلّه، والجمع أوطان، وأوطان الغنم والبقر : مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها . وَطَنَ بالمكان وأَوْطَنَ : أقام، وأوطنه : اتّخذ وطناً، يقال : أوطن فلان كذا وكذا، أي : اتّخذها محلاً ومسكناً يقيم فيها، و المِيطان : الموضع الذي يوطن لترسل منه الخيل في السّباق¹

وفي المصباح المنير لكاتبه الفيومي: الوطن: مكان الإنسان ومقرّه، ومنه قيل لمريض الغنم: وطن، والجمع أوطان مثل سبب أسباب، وأوطن الرّجل البلد واستوطنه وتوطنه: اتّخذ وطناً، والموطن مثل الوطن والجمع مواطن مثل مسجد ومساجد، والموطن أيضاً: المشهد من مشاهد الحرب، ووطن نفسه على الأمر توطينا: مهّدها لفعله وذلكّها، ووطنه مواطنة مثل وافقه موافقة وزنا ومعنى.²

وفي ترتيب القاموس المحيط نجده لا يختلف عن المعاجم السّابقة في المفهوم اللّغوي

الوطن، محرّكة ويُسكّن: منزل الإقامة، ومربط البقر والغنم ج: أوطان. ووطن به يطن وأوطن: أقام. وأوطنه ووطنه واستوطنه: اتّخذ وطناً. ومواطن مكّة: موافقها، ومن الحرب:

¹ . أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، م 15، دار صادر، لبنان، دط، دت، ص: 396.

² . أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، لبنان، دط، 1987م، ص: 254.

مشاهدها. وتوطين النفس: تمهيدها. وتوطنها: تمهدها. والميطان؛ بالكسر: الغاية. وموضع
يوطن لترسل منه الخيل في السباق. وواطنه على الأمر: وافقه.¹

ومن هنا نلاحظ أن التعاريف اللغوية السابقة لا تختلف كثيرا فيما بينها، حيث أنها
اشتركت جميعا في تعريف الوطن بأنه منزل الإقامة.

2. اصطلاحا:

الوطن والموطن والوطنية، كلمات تبقى متأصلة في النفس البشرية، بما تحمل من
دلالات الانتماء والهوية، ولما لها من وقع وأثر ومغزى على وجدان أصحابها، مما جعلها
تغوص بين تلايب قلوبهم ودواخلهم، فتسري مسرى الدم من العروق فيهم.

وللأدباء والمفكرين آراء مختلفة حول ماهية الوطن، إذ نجد الجرجاني يُعرّفه بقوله:
"الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه.... وهذا المفهوم متقارب جدا بالمفهوم
اللغوي. وطن الإقامة : موضع ينوي أن يستقر فيه خمسة عشر يوما أو أكثر من غير أن
يتّخذ مسكنا".²

أما من منظور الشيخ الغزالي فالوطنية هي: " نزعة إنسانية، تجعل كل امرئ يحب
التراب الذي درج عليه، والجو الذي عاش فيه، وأن حب الإنسان لقومه أمر عادي".³

ومن وجهة نظر الشاعر يعرّفه محمود درويش قائلا: " هو الشوق إلى الموت من أجل
أن تعيد الحق والأرض. ليس الوطن أرضا. ولكنه الأرض والحق معا، الحق معك، والأرض

¹ . مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب النون، ج4، دار الكتب العلمية، لبنان، دط، دت، ص: 284.

² . علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، م1، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع،
مصر، ط1، 2004، ص: 212.

³ . محمد صالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط10، دت، ص: 188.

معهم" ويقول كذلك: "ما هو الوطن؟ ليس سؤالاً تجيب عليه وتمضي .. إنه حياتك وقضيتك معا".¹

نخلص من هذه التعاريف إلى أن الوطنية هي المشاعر الوجدانية الصادقة التي يعبر بها الفرد أو المواطن اتجاه وطنه، فهي تحتم على الفرد أن يبذل ما في وسعه من أجل إعلاء رفعة الوطن، والمحافظة على سلامته واستقراره وأمنه، فحب الوطن هو دم الإنسان الذي يسري في وجدانه.

3. الوطنية من منظور شرعي:

1.3. من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ سورة البقرة، الآية: 125

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ سورة إبراهيم، الآية: 37

2.3. من السنة النبوية: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿كان رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته، وإن كانت دابة حركها² رواه البخاري

¹ . سامر حمدان، أقوال محمود درويش عن فلسطين، موضوع، 2016م. <http://www.mawdoo3.com>.

² . أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 1802، دار ابن كثير، سوريا، ط1، 2002م، ص:433،434.

وكذلك ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:
﴿اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد﴾¹ رواه البخاري

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة:
﴿ما أطيبك من بلد، وما أحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك، ما سكنت غيرك﴾²
رواه الترمذي

تنبت هاته الأحاديث أن حبّ النبي للوطن لا يقتصر على ما فيه روح بل يتعداه إلى
الجماد.

¹. أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 1889، ص: 454.

². أبو عيسى محمد الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم 3925، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، د ت، ص: 680.

ثانياً: مظاهر الوطنية في الأعمال الأدبية العربية

تتخزن الدّراسات والأبحاث العربيّة بالعديد من المواضيع في شتّى المجالات ومن أهمها موضوع الوطنيّة، فلا يكاد يخلو عمل أدبي منها سواء في النثر أم الشعر، فهي متأصلة في ذات كلّ عربي، وقد تجلّت بصورة واضحة في أعمال الشعراء العرب ومن بينهم : محمود درويش، أبو القاسم الشابي، حافظ إبراهيم وغيرهم الكثير..

1. محمود درويش:

الشاعر محمود درويش الذي اقترن اسمه بفلسطين وغيره الكثير من أبناء جلدته الذين كرّسوا كلماتهم للأرض وللإنسان الفلسطيني، فعملوا على تحريض الشعب عبر الكلمة الثورية الصاخبة، مؤمنين أنّ الرّفْض والنّمرد هما الدّرب الأوحد للخلاص والحرية، وقد جاءت أشعار محمود درويش لتشكل رسالة موجزة أو بيانا عسكرياً خاصاً في المعركة حيث يقول:

قصائدنا، بلا لون

بلا طعم... بلا صوت!

إذا لم تحمل المصباح من بيت إلى بيت!

وإن لم يفهم "البُسطا" معانيها

فأولى أن نذريها

ونخلد نحن... للصمت⁽¹⁾

(1) محمود درويش، الديوان، م 1، دار العودة، لبنان، ط14، 1994، ص: 54

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان "بطاقة هويّة" :

سجّل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم سيأتي بعد صيف!

فهل تغضب؟!

إذن سجّل... برأس الصّفحة الأولى

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد

ولكنّي إذا ما جعت

أكل لحم مغتصبي

حذار...

من جوعي

ومن غضبي!¹

¹ . سامر حمدان، أقوال محمود درويش عن الوطن، موضوع، 2015م. <http://www.mawdoo3.com>.

يسعى الشاعر لمخاطبة العدو كإنسان صاحب إرادة، إذا هُدّد بغضب ويأكل لحم من يتجاهله ، وهو لا يتوسّل إلى العدو بل هو صبور في بلد يعيش كلّ شيء فورة الغضب.

2. أبو القاسم الشابي:

هو شاعر تونسي عاش في النصف الأول من القرن العشرين ، وشهد الاستعمار الفرنسي على تونس موقف موقف الرفض للاحتلال، داعيا إلى مقاومته عن طريق أشعاره و"الشابي من أولئك الشعراء المعاصرين الذين أدركوا الشعر الجديد برسائلته الجديدة، والتي لا تتم عن مجرد مدح وتمجيد بكلّ ما في الوطن من عناصر وصفات وتقاليد وعادات، فهو إنّما يتّخذ الشعر أداة لتحذير الأمة نحو محاولة للتغيير، ويرى أنّ الوطنية الصحيحة، هي التي تعترف بالعيوب في صراحة تامّة كخطوة لازمة نحو محاولة علاجها؛ ومن هنا أجازوا لأنفسهم أن يشرحوا تلك العيوب والنقائص الوطنية تشريحا لم يخل من قسوة".¹ يقول في قصيدة بعنوان "صوت تائه":

شُرِدْتُ عَنْ وَطَنِي السَّمَاءِ الَّذِي مَا كَانَ يَوْمًا وَاجِمًا مَغْمُومًا

شُرِدْتُ عَنْ وَطَنِي الْجَمِيلِ..أَنَا الشَّقِ يُّ، فَعِشْتُ مَشْطُورَ الْفُؤَادِ يَتِيمًا

فِي غُرْبَةٍ رُوحِيَّةٍ مَلْعُونَةٍ أَشْوَافُهَا تَقْضِي عِطَاشًا هِيمًا²

إنّ تونس وطن الشاعر ومسقط رأسه وموضع هواه ومرتع طفولته وصباه؛ فهذه القصيدة تبثّ ذلك الهوى وتصور مقدار حبه لها.

3. حافظ إبراهيم:

¹ . محمد النويهي، قضية الشعر الجديد، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 1971م، ص: 524، 525.

² . أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 4، 2005م، ص: 43.

شاعر مصري لُقِّب بشاعر الوطنية وشاعر الشعب، فديوانه زاخر بالقصائد الوطنية،
التي تشع بحبه الشديد لوطنه، يقول في إحدى قصائده:

مَتَى أَرَى النَّيْلَ لَا تَحْلُو مَوَارِدُهُ لِعَيْرِ مُرْتَهَبٍ لِلَّهِ مُرْتَقِبِ
فَقَدْ غَدَتْ مِصْرُ فِي حَالٍ إِذَا ذُكِرَتْ جَادَتْ جُفُونِي لَهَا بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ
إِذَا نَطَقْتُ فَقَاعُ السَّجَنِ مُتَكَاً وَإِنْ سَكَتُ فَإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطْبِ¹

كان يتغزل في مصر ويأرق في حبها فيقول في هذا الصدد وقد ملكت عليه مصر
شغاف قلبه والتي خصها بكثير من الغرام ، يقول:

وَمَا أَنَا وَالْغَرَامُ وَشَابَ رَأْسِي وَغَالَ شَبَابِي الْخَطْبُ الْجَسَامُ
لَعَمْرُكَ مَا أَرِقْتُ لِعَيْرِ مِصْرٍ وَمَالِي دُونَهَا أَمَلٌ يُرَامُ

عشق حافظ مصر عشقا ملك عليه عاطفته ووجدانه، حتى أن وطنياته وسياساته ظلّت
بمثابة الدّعمة التي تستند إليها قدراته، باعتباره شاعرا مجاهدا ومدافعا عن وطنه.

ثالثا: غسان كنفاني والأدب

¹ . عبد المنعم إبراهيم الجميعي، شاعر النيل حافظ إبراهيم، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، د ط، 2012م، ص: 43.

1. لمحة عن الكاتب غسان كنفاني

1.1. مولده ونشأته:

هو غسان محمد فايز كنفاني، ولد يوم 9 أبريل 1936، بمدينة عكا، ينتمي إلى عائلة فلسطينية من مدينة يافا، تلقى علومه الابتدائية في مدرسة ألفريد الفرنسية حتى عام 1948 حين وقعت النكبة، فغادر فلسطين مع جموع النازحين إلى دمشق حيث واصل دراسته الابتدائية والإعدادية هناك في ظروف مادية صعبة، ويقول في ذلك: "غادرت فلسطين عندما كنت في الثانية عشر من العمر، كنت أدرس في مدرسة تبشيرية وفجأة أصبحنا لاجئين فتوقّف والدي عن العمل. أمّا نحن فقد باشرنا العمل كصبية ومراهقين كي نعين العائلة".¹

عمل غسان مع أخيه في صناعة الأكياس الورقية لمساعدة العائلة، لكن عمله لم يشغله عن دراسته فكان يعمل ويدرس. "وفي عام 1953م عمل مدرّسا في إحدى المدارس الابتدائية الخاصة باللاجئين في سوريا"² وبعدها التحق بجامعة دمشق ودرس فيها ثلاث سنوات فُصل بعدها لأسباب سياسية، فغادر سوريا إلى الكويت ومن ثمّ إلى لبنان التي وجد فيها ضالّته لما كانت تمتاز به من رحابة فكرية وأدبية وسياسية .

استشهد غسان يوم 8 جويلية 1972م مع ابنة أخته لميس اثر انفجار عبوة ناسفة من الديناميت وُضعت في سيارته تحت منزله.

2.1. نشاطاته الثقافية والسياسية:

¹ . حديث ينشر لأول مرة، شؤون فلسطينية، لبنان، العدد 35، 1974م، ص: 139.

² . صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جمالية السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م، ص: 12.

حفلت مسيرة غسان بالنشاطات الأدبية والسياسية والثقافية؛ حيث انضم وهو في سوريا إلى صفوف حركة القوميين العرب عام 1953م، وفي الكويت مارس نشاطه الثقافي والسياسي من خلال النادي الثقافي القومي ومجلة الفجر الأسبوعية، كتب في الرواية والقصة والمسرحية... "عُرف غسان كنفاني قاصاً فقد فازت قصته القميص المسروق بالمرتبة الأولى في مسابقة للقصة القصيرة عام 1958".¹

زاول مهنة الصحافة في الكويت فبدأ يحرر في إحدى الصحف هناك ويكتب تعليقات سياسية باسم مستعار، استغل وجوده هناك ليقوم بزيارة للعراق بعد ثورة 1958م، وبعد أن اطلع على نظام الحكم هناك أحس أنه نظام منحرف فهاجمه في كتاباته.²

وفي عام 1960م عمل محرراً في مجلة المحرر ببيروت، وعُرف كنفاني بأدب المقاومة في الأرض المحتلة. حضر العديد من المؤتمرات الأدبية والصحفية منها مؤتمر الكتاب الآسيويين و الإفريقيين ومؤتمر الصحفيين العرب عام 1967م. عمل وهو في لبنان في جريدة الأنوار، ثم ترأس مجلة الهدف الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام 1969م. وفيما يخص الجوائز التي حاز عليها كنفاني لأعماله المتميزة "نال جائزة أصدقاء الكتاب في لبنان لأفضل رواية عن رواية "ما تبقى لكم" عام 1966م ، كما نال جائزة منظمة الصحفيين العالمية عام 1974م ، ونال جائزة اللوتس التي يمنحها إتحاد كتّاب آسيا وإفريقيا عام 1975م".³

هكذا كان غسان كنفاني مؤسسة ثقافية متكاملة، ونموذجاً خاصاً للكاتب السياسي والروائي والناقد فكان مبدعاً في حياته ونضاله واستشهاده.

¹ . صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جمالية السرد في الخطاب الروائي، ص: 15.

² . ينظر: أحمد هاشم السامرائي، الأديب غسان كنفاني، موسوعة دراسات وأبحاث في الأدب الفلسطيني الحديث، ج 4، العراق، دت، ص: 235.

³ . غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط6، 2004م، ص: 8.

3.1. آثاره:

خلف غسان إرثاً أدبياً زاخراً ساهم في إثراء المكتبة الأدبية العربية فكانت مرجعاً هاماً في دراسات الباحثين والدارسين، ومن أهمها:

- "موت سرير رقم 12، سنة 1961م (مجموعة قصصية)
- أرض البرتقال الحزين، سنة 1962م (رواية)
- رجال في الشمس، سنة 1963م (رواية)
- الباب، سنة 1964م (مسرحية)
- عالم ليس لنا، سنة 1965م (مجموعة قصصية)
- أدب المقاومة في فلسطين المحتلة، سنة 1966م (دراسة)
- ما تبقى لكم، سنة 1966م (رواية)
- القبة والنبي، سنة 1967م (مسرحية)
- في الأدب الصهيوني، سنة 1967م (دراسة)
- عن الرجال والبنادق، سنة 1968م (مجموعة قصصية)
- الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، سنة 1968م (دراسة)
- أم سعد، سنة 1969م (رواية)
- عائد إلى حيفا، سنة 1969م (رواية)
- الأعمى والأطرش، (رواية غير كاملة)
- المقاومة ومعضلاتها، سنة 1970م (دراسة)¹
- "ثورة 1936-1939 في فلسطين، سنة 1972م (كتاب)

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط4، 1987م، ص: 6.

بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الروايات والدراسات السياسية والفكرية والتاريخية والنقدية التي لم تنشر في كتب منها:

- الشيء الآخر أو من قتل ليلي الحايك؟ (رواية) نشرت على حلقات أسبوعية عام 1966
- اللوتس الأحمر الميت (رواية) عام 1961م
- ثم أشرقت آسيا (كتاب) نشر على حلقات أسبوعية عام 1965م
- ترجمة (صيف ودخان) لتينيسي وليامس عام 1964م¹

2. أدبه:

سار الأدب الفلسطيني جنباً إلى جنب مع المسار الحياتي للشعب الفلسطيني، فلم يقتصر العمل الوطني والنضالي على الكفاح المسلح، بل استُخدمت كل الوسائل ومنها الكلمة الملتهبة المؤثرة، التي سخّرها غسان كنفاني في أدبه لخدمة شعبه وأمته وقضيته فتتوّع أدبه فكرياً، ثقافياً، فنياً وإعلامياً. فكتب الرواية والقصة والمسرحية والمقال الصحفي والدراسات التحليلية.

1.2. الرواية:

"إنّ محاولة تحديد المنهج الفني لغسان كنفاني ليس بالأمر الهين؛ ذلك أنّه ليس هنالك تشابه في الأسلوب بين الروايات فالمنطلق الأساسي الذي يحدّد اتجاهه الفني هو الارتباط العضوي بين كتاباته والواقع الفلسطيني"² لذلك يمكن أن نعتبر أنّ الغاية في بحثه كانت محاولة إيجاد شكل يتماشى مع أفكاره وواقعه، ولقد عبّر عن رغبته في كتابة أدب واقعي، ولكنّ الواقع المتشعب له أكثر من بعد لذلك لم يستطع أن يستقرّ على بناء روائي واحد.³

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 6.

² . رفيقة البحوري، الأدب الروائي عند غسان كنفاني، دار التقدم للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 1982م، ص: 18.

³ . المرجع نفسه، ص: 122.

يغلب على أعمال غسان كنفاني الروائيّة الواقعيّة الحيّاتيّة، فسوّر في رواية (عائد إلى حيفا) رحلة الفلسطينيين من يافا إلى عكا كما شاهدها حين كان طفلاً، وصوّر في رواية (أرض البرتقال الحزين) حياة عائلته في مدينة عكا، وفي رواية (رجال في الشمس) استلهم صوراً من حياة الفلسطينيين وحياته في الكويت وعودته إلى بيروت، وبعدها رأى أن يكمل هذه الرواية برواية (ما تبقى لكم) التي يكتشف فيها البطل طريق القضية.¹

يمكن اعتبار روايات غسان كنفاني وسيلة لتوعية القارئ؛ إذ هي كثيراً ما تفتح أمامه سبلاً جديدة للخروج من واقعه المسدود وتساعد على تخطّي ما يتخبّط فيه من جهل واستسلام وما يكبله من علاقات زائفة.

2.2. القصة:

تناول غسان في أعماله القصصية العديد من القضايا تدور في مجملها في فلك القضية الأم. وقد بلورت معظم أفاصيحه واقع الشعب الفلسطيني، فوقف على توقّعات المستقبل، واتّخذ الرّمز وسيلة دقيقة من وسائل التعبير والتّصوير.

تميّزت قصصه بجودة الأسلوب وبراعة التّصوير ومتانة اللّغة وثنائها واستلهاهم الواقع المرّ الذي عاناه الفلسطينيون داخل الأرض المحتلة وأماكن نزوحهم مجسّداً الشّخصية الفلسطينيّة البسيطة في أغلب أعماله القصصيّة، يقول إحسان عباس: "من يقرأ قصص غسان كنفاني يدرك بدون عناء أنّ أشخاصه من أبناء الشعب البسطاء وكثير منهم أطفال أو شبّان يعملون بدافع من صدق الفطرة دون أن يبلغوا سنّ الحكمة".²

وفي الفترة ما بين 1960_1965 أصدر كنفاني مجموعات قصصيّة أهمّها:

¹. أحمد هاشم السامرائي، الأديب غسان كنفاني، ص: 239.

². إحسان عباس وآخرون، غسان كنفاني إنساناً وأديباً ومناضلاً، منشورات الإتحاد العام للكتاب الفلسطينيين، لبنان، ط1، 1974م، ص: 14.

"- موت سرير رقم 12: هي المجموعة القصصية الأولى التي أصدرها كنفاني سنة 1960، وهي أول تعبير عن معاناة الفلسطيني في المنفى التي تستغرق في التحفيز الواقعي وثرأ الخطاب القصصي حواراً مع الذات المؤرقة والمعدبة في خضم المشكلات الاجتماعية والسياسية.

-عالم ليس لنا: وهي مجموعة قصصية يذكر فيها مأساة المنفى الفلسطيني حنيناً وعذاباً لدى استحضار أرض المأساة الفلسطينية ببعديها الوجودي والتاريخي.

-عن الرجال والبنادق: هي مجموعة قصصية يستلهم فيها كنفاني إبداعه الأدبي في مأساة شعب فلسطين وتكمن القيمة الأساسية لهذه المجموعة في الكشف عن تأسيس دراسة جديدة في الأدب الفلسطيني بخاصة والأدب العربي بعامّة.¹

3.2. المسرح:

"-الباب: تعدّ مسرحية الباب أول تجارب غسان في مجال المسرح، أنتجها عام 1964، مستوحاة من أسطورة عربية قديمة. غلبت شخصية كنفاني عليها، فحاول أن يخلق عملاً وجودياً متكاملًا من خلال التعامل مع أسطورة عربية تدور حول الإنسان ووعيه، تمثل النضال والرفض والمقاومة ضدّ الذي يحاول خضوع الآخرين، ظهرت من خلالها مكونات التراث الفلسطيني.²

- القبعة والنبي: وهي المسرحية الثانية بعد مسرحية الباب، تقوم على لعبة قفص الاتهام الذي يتحرك ليضمّ المتهم مرة والقضاة مرة ثانية. أنجز كنفاني هاته المسرحية في بدايات عام 1967 غير أنها لم تُنشر إلّا بعد استشهاده بحوالي تسعة أشهر فنُشرت للمرة الأولى في مجلة شؤون فلسطينية سنة 1973.

¹. أحمد هاشم السامرائي، الأديب غسان كنفاني، ص: 241، 242، 243، 245.

². المرجع نفسه، ص: 243.

- صيف ودخان : وهي ترجمة لمسرحية كتبها الأديب الأمريكي تينيسي ويليامز صدرت في حلقات عام 1965.

4.2. الدراسات التحليلية والمقالات:

في العقد السابع من القرن العشرين أصدر غسان ثلاث دراسات، اكتشف فيها لأول مرة الإنتاجات الأدبية من الأرض المحتلة التي كانت صلتها بالعالم العربي قد انقطعت بعد الاحتلال الصهيوني ففتح للعرب نافذة على الأدب العربي الفلسطيني المليء بالحيوية والأفكار الثورية، وكذلك اكتشف لأول مرة الكتابة الصهيونية التي لعبت دورا مهما في تمهيد الطريق لقيام دولة إسرائيل المحتلة.

"-الدراسة الأولى : بعنوان (أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966) نُشر هذا الكتاب ببيروت عام 1966م.

-الدراسة الثانية: كانت بعنوان (في الأدب الصهيوني) ، نُشر هذا الكتاب ببيروت عام 1967م

-الدراسة الثالثة : تحمل عنوان (الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968) ، نُشر ببيروت عام 1968م.¹

أمّا من أهم ما كتبه غسان في مجال المقالات الأدبية، فنجد مقالاته السّاخرة التي كان ينشرها باسم مستعار هو (فارس فارس) أو (أ.ف) فنجد "فارس فارس قد مارس النّقد الأدبي انطلاقا من عدّة معرفيّة ثقافيّة، على إلمام بتيّارات الأدب والثّقافة والنّقد في فترة السّتينات، ومن تَدوُّق رفيع استطاع عبر نماذج معيّنة أن يكتشف جديدا في الأدب والأدباء، وأن يفصح

¹ . أحمد هاشم السامرائي، الأديب غسان كنفاني، ص: 243.

الضّحالة والضّجيج الفارغ في نماذج أخرى. وقد كان فارس فارس وبتوجيه من صاحبه غسان يحرص أشدّ الحرص على الدّقة في الأحكام وكذلك في البرهنة".¹

كان آخر مقال كتبه غسان قبل استشهاده باسم فارس فارس هو (ملحمة المعزية والذئب) نشرته مجلّة الصّيّاد في 16 تموز 1972م، بعد أسبوع من استشهاده "وهو مقال ساخر وجديّ حتّى العظم...يكشف فيه غسان الانحياز الفاضح في الصّحافة الغربيّة إلى جانب إسرائيل ضحيّة الإرهاب البربري، وحالة العداء المتأصل والمستمرّ ضدّ الفلسطينيين والعرب"²

3. غسان والقضية الفلسطينية:

لم يمض على ولادة غسان عند احتلال اليهود لفلسطين سوى 12 سنة، فارتبطت أحداث النّكبة سنة 1948 بطفولته التي شهدت كلّ أشكال الاستعمار من تقتيل وتهجير وتشريد للفلسطينيين، ممّا حولهم إلى لاجئين في الدّول المجاورة . فكان سقوط عكا بداية لرحلة تشردّ غسان وعائلته فانتقل إلى سوريا ثمّ إلى لبنان والكويت .

ترى رفيقة البحوري أن في انتقال غسان كنفاني من سوريا إلى الكويت ثمّ إلى لبنان، إثراء لتجربته وتوسيع لاطّلاعه على أوضاع الفلسطينيين... وعند اشتغاله بالتّدريس ارتبط بأطفال المخيمات، وعرف حقيقة بؤسهم وانعكاس المأساة على أنفسهم... كذلك أثر انتقاله إلى الكويت تأثيرا واضحا فيما كتب، عرف الغربة التي عاشها ويعيشها الفلسطينيون هناك، وأحسّ بقسوة الحياة التي تُفقد الإنسان إنسانيّته وتحوّله إلى مجرد رقم،³ "إنّ هذه الرّجّات

¹ . محمد دكروب، مقالات فارس فارس، دار الآداب، لبنان، ط 1، 1996م، ص:12.

² . عدنان كنفاني، غسان كنفاني أيها الغائب الحاضر، شبكة فلسطين للحوار، 2012، <http://www.paldf.net>

³ . رفيقة البحوري، الأدب الروائي عند غسان كنفاني، ص: 16.

العنيفة التي عاشها كنفاني أثرت في اتجاهه الأدبي، فكتب غسان أدبا وطنياً، والتزم بأن يدافع عن قضية فلسطين و بالألا يخرج أبدا عن هذا الهدف"¹.

سخر غسان أدبه لخدمة القضية الفلسطينية، فكانت فلسطين هي موضوع حياته فعبر عن همومها وآلامها وجعلها محورا لكافة كتاباته.

نستطيع من خلال القراءة المتفحصة لأعمال كنفاني أن نلمح ارتباط أدبه بالمقاومة الهادفة إلى تحرير فلسطين، ممّا جعل الموضوع الرئيس في أبحاثه ورواياته وقصصه ومسرحياته فلسطين التي صارت فيها الحياة إلى العذاب.²

كان حضور القضية الفلسطينية في كتابات غسان كنفاني حضورا واضحا، وأساس هذه الكتابات هو الشعب الفلسطيني قضية وثقافة ومستقبلا "والباحث في أدب غسان كنفاني يجد انعكاس قضية فلسطين في كتاباته ورواياته ومقالاته، بل هي موضوع حياته ومماته ، ظل يؤمن بقضيته حدّ الشهادة."³

إنّ فلسطين هي الوطن والمسكن ولقمة العيش لذلك كانت المحور في كلّ كتاباته والعمود الفقري لحياته، فلم تكن مجرد وطن عاش فيه ولا إطار تتحرك فيه شخصياته، بل كانت تعيش داخله كالشعلة تلهب روحه وتدفعه إلى العطاء المتواصل، يقول غسان: "بإمكانك القول بأنّ فلسطين تمثلّ العالم برمته في قصصي."⁴

اختار غسان كنفاني كلّ أبطاله من فلسطين، وحاول أن يؤصلهم فيها فخلق عالما فلسطينيا متكاملا بماضيه وعاداته وشواغله الآنية، ورغم أنّه لم يعيش طويلا داخلها إلّا أنّ مدنها حاضرة في كتاباته موصوفة بالدقة تتجلى بأحيائها وطابعها المعماري بطقسها

¹ . المرجع نفسه، ص: 17.

² . أبو هيف عبد الله، قصة المقاومة عند غسان كنفاني، الدستور، الأردن، 2008، <http://www.addustour.com>

³ . فيصل الدراج، شؤون فلسطينية، فلسطين، العدد 66، 1977م، ص: 141.

⁴ . رفيقة البحوري، الأدب الروائي عند غسان كنفاني، ص: 18.

وتضاريسها وجمالها الطبيعي كأنه التزم بزرع أبطاله في تلك التربة الطيبة، كذلك أحياء صمود الشعب الفلسطيني وتصديه للإنجليز، وللاستيطان الصهيوني، وحاول أن يفضح الأكذوبة التي تروج أن الفلسطينيين باعوا أرضهم أو سلموها رخيصة للصهاينة.¹

غسان كنفاني فارس دفع ضريبة الدّم من أجل فلسطين، وقضى العمر داعياً للتحرير بالمقاومة الفكرية، فكتب بقلمه رسالة شعبه المقاوم وأفكاره التي تجسدت في أعماله الكثيرة والتي اتسمت بروح النضال والمقاومة، فهو رجل الكلمة المقاومة، الكلمة الرصاصة "وهو الشاهد والشهيد؛ الشاهد على أن الكلمة المقاتلة أمضى على أعداء الفكر والإنسانية من السلاح، والشهيد الذي سقط في ميدان الصراع... وحسبنا القول إن غسان كان شعباً في رجل، كان قضية، كان وطناً، ولا يمكن أن نستعيده إلا إذا استعدنا الوطن".²

¹. رفيقة البحوري، الأدب الروائي عند غسان كنفاني، ص: 18.

². أوس داوود يعقوب، غسان كنفاني الشاهد والشهيد، مجلة فكر، سوريا، العدد 113، 2011م، ص: 10، 8.

الفصل الثاني

تجليات الوطن في رواية أرض البرتقال الحزين

أولاً: الشخصيات والوطن في الرواية

1. الشخصيات الوطنية

1.1. شخصية المقاوم

2.1. شخصية المتمرّد

3.1. شخصية المستسلم

4.1. شخصية المرأة

5.1. شخصية الطفل

2. الشخصيات المعادية للوطن

1.2. شخصية الصهيوني الطاغية

ثانياً: المكان والوطن في الرواية

1. المدينة

1.1 فلسطين

2.1 غزة

3.1. عكا

2. البيت

3. الشوارع والطرق

4. الجبل

5. المقبرة

أولاً/ الشخصيات والوطن في الرواية:

تمهيد:

تُعتبر الشخصية الروائية المحور الأساسي الذي تدور حوله أحداث الرواية، فهي التي تشكل سيرورتها وتنظيمها ومنها توجهها الحكائي، وهي المسؤولة عن نمو الخطاب داخل الرواية، وهي الأداة التي يعبر بها الكاتب عن أفكاره وإيديولوجيته، وهذا ما تمثّل لدى الروائي العربي بعامة والروائي الفلسطيني بخاصة والذي استمدّ شخصياته من الواقع المعاش، ومن معاناة الشعب الفلسطيني " إن القاص الفلسطيني يعبر بشخصه عن أفكاره ومبادئه وآماله هو شخصياً والتي يجسدها تعبيراً عن آمال شعب برمته"¹

ومن أهم هؤلاء الروائيين نجد غسان كنفاني الذي استمد معظم شخصياته من الواقع الفلسطيني، وهذا ما يظهر في أغلب أعماله الروائية، من بينها رواية أرض البرتقال الحزين، فكيف استطاع غسان أن يلج بشخصياته إلى الواقع الفلسطيني المعاش؟ وأين برزت ملامح الوطن في هاته الشخصيات؟.

1. الشخصيات الوطنية:

1.1. شخصية المقاوم: ظل البطل الفلسطيني المقاوم حاضراً في أعمال غسان، وكانت الشخصية المحورية التي تدور حولها الأحداث، باعتبارها شخصية كفاح ونضال في سبيل الوطن والتي تدافع عنه بالروح والسلاح والكلمة المقاومة، ظلت الشخصية الفلسطينية المقاومة حاضرة في ذاكرة الناس ووعيمهم، إذ تبرز بشكل واضح عند الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني في أعماله الكثيرة، ومن بينها رواية أرض البرتقال الحزين؛ حيث تجسدت هاته

¹. نصر عباس، الفن القصصي في فلسطين، دار العلوم للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1982م، ص:338.

الشخصية في قصة السلاح المحرم وتظهر عند مواجهة أهل القرية للجندي رافضين أن يقيم فيها "وتذكر أن هذا الجندي كان قد أتى مرارا إلى القرية بغية أن يقيم فيها، إلا أن أهل القرية كانوا يرفضونه دائما"¹

ثم يتطور الوضع ويجتمع أهل القرية للاستيلاء على بندقية الجندي لإيمانهم بأن السلاح بيد الإنسان إغراء للقتل "ومن الذي يستطيع أن يضمن هذا الجندي فلا يطلق الرصاص ذات يوم على الناس إذا ما داعبه غرور التفوق والمقدرة؟" ² ثم يظهر أبو علي الرجل المقاوم الذي حاول أن يأخذ السلاح من يد الجندي دون أن يكثرث لما سيحل به أو بأهله رغم مرضه ولقناعته بضرورة امتلاك السلاح لحماية بيته وقريته من الضباع "لقد آن الألوان لأبي علي أن يمتلك بندقية يستعوض بها عن الفأس التي كان يستعملها في محاربة الضباع كل شتاء، فالشتاء الآن صار على الأبواب؛ ولا بد لأبي علي أن يمتلك تلك البندقية."³

يستطيع أبو علي فك السلاح من يد الجندي بعد مقاومته وذلك بمساعدة أهل القرية ثم يفر بعيدا "حين تصير البندقية في يدي وسعوا لي طريق الهرب، وإذا حاول أن يلحق بي سدوا الطريق بوجهه."⁴

"وحين شد أبو علي بكل قوته انزلق حذاء الجندي على بلاط الساحة ووقع على ظهره، وبسرعة شديدة دور أبو علي البندقية دورتين فانفك حزامها عن الساقين الملوحتين في الهواء، وتلقف البندقية بكفيه الكبيرتين الخشنتين، وبسطها أمام صدره محدقا إليه بجذل، ثم صاح بصوت عال:

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 30.

² . المصدر نفسه، ص: 30.

³ . المصدر نفسه، ص: 36.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 33.

. وسعوا الطريق يا شباب!

ومن خلال الفرجة الضيقة التي انفتحت... انسرب أبو علي... ثم انغلقت الفرجة بأكتاف الرجال من جديد¹.

استطاع غسان من خلال شخصية أبو علي أن يبرز الواقع الفلسطيني المعاش ، وأن يُبين مأساة الفلسطيني المحروم من السلاح رغم أحقيته بامتلاكه وتوجّهه هـ ذا يتمشى مع دعواته للكفاح المسلّح.

تتجسّد في قصّة ورقة من الرمل ة الشخصية المقاومة من خلال أبي عثمان الرجل العجوز، الرجل البسيط " لقد كان أبو عثمان، كل عمره، رجلا مسالما محبوبا، كان يؤمن بكل شيء... طيبا كأبي غرسة خضراء في أرض الرملة الطيبة، وكسب حب الناس ورضا الناس"².

عاش أبو عثمان حياته رجلا مقاوما في سبيل الوطن والحرية فقد جعل من دكانه مخزنا للأسلحة التي كان يوزعها على أقاربه ليقوموا بواجبهم في المعركة "وعندما بدأت حرب فلسطين الأخيرة، باع كل شيء، واشترى أسلحة كان يوزعها على أقاربه ليقوموا بواجبهم في المعركة، لقد انقلبت دكانه إلى مخزن للمتفجرات والأسلحة"³.

ظل أبو عثمان يقاوم حتى آخر رمق في نفسه ولم يستسلم لليهود ورفض أن يبوح بما يعلم ويخون وطنه؛ وذلك بأن فجر نفسه حينما قتل اليهود زوجه وابنته أمام ناظره " ذلك أنه عندما ذهب إلى غرفة القائد ليعترف بما يعرف، سمع الناس انفجارا هائلا هدم الدار وضاعت أشلاء أبي عثمان بين الأنقاض"⁴.

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 35.

² . المصدر نفسه، ص: 47، 46.

³ . المصدر نفسه، ص: 47.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 48.

اختار غسان شخصية أبو عثمان الرجل المسالم ، الرجل البسيط، ليثبت بذلك أن المقاومة الفلسطينية ولدت من رحم البسطاء من أبناء الشعب.

يظهر في قصة ورقة من الطيرة مثال آخر للشخصية المقاومة المتشعبة بالروح الوطنية والنضالية؛ شخصية إبراهيم أبو دية الرجل الشجاع الذي ضل يكافح الاحتلال ويناضل واقفاً على قدميه "لم يكن يحارب إلا وهو واقف على قدميه كأنه يلقي خطاباً"¹

غير أن ثمن مقاومته ودفاعه عن وطنه كان بأن يصاب بعدة طلقات أدت إلى شلله " خاض مع رجاله معركة في (ميكور حاييم) وخرج منها بست عشرة رصاصة في ظهره كانت سبب شلله "².

لم تبرح وطنية إبراهيم ، ولم يتخلّى عن وطنه حتى وهو في آخر لحظات حياته ، حيث طلب ممن معه بأن ينشدوا له نشيد (موطني) وهو يشدّ باقة الحنّون ضاماً إيّاها إلى صدره "طلب إبراهيم منهم بصوت خفيض أن ينشدوا له نشيد موطني.. ووقف الرجال الثلاثة ينشدون له النشيد، وهم يبكون، بينما كان هو يموت... وامسك إبراهيم الزهر.. وضمه بعنف إلى صدره، ثم ابتسم وهو يقول...

.أيها الجرح...

ومات وهو يشد على الزهر الذي دفن معه..³.

يبرز كنفاني من خلال شخصية أبو دية الارتباط الشديد بين الفرد الفلسطيني والوطن ، فأبراهيم أبو دية تمسك بالورد ليدفن معه وكأنه متمسك بوطنه حتى آخر لحظة من عمره. وفي نفس القصة مثال آخر للشخصية المقاومة شخصية حمد الحنيطي ال ذي سافر إلى

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 51.

² . المصدر نفسه، ص: 51.

³ . المصدر نفسه، ص: 51، 52.

سوريا ليعود بلغم كبير لتكتشف ذلك امرأة يهودية فتقوم بالإبلاغ عنه، ثم تهاجمه قوة يهودية تريد الاستيلاء على اللغم، فيرفض الاستسلام والخضوع ويقرر التصدي والمقاومة والدفاع عن الوطن، بل إن تقديم روحه أهون عليه من تقديم الوطن والأرض لقمة سهلة لليهود المحتل "ودافع دفاعا مجيدا مع رفاقه القلائل حتى تساقطوا من حوله واحدا إثر واحد.. هل يسلم اللغم وينقذ حياته؟ طبعاً لا.. لقد، وقف حمد ورفع يديه، وعندما اقترب اليهود ليمسكوه، أطلق رصاصة واحدة على اللغم الكبير، لقد قال الناس يومها أنهم سمعوا انفجار اللغم من عكا.. وتطايرت أشلاء اليهود، وتمزق الشهيد إلى درجة أنهم لم يستطيعوا أن يجدوا أي شيء منه كي يدفنوه .."¹.

2.1. شخصية المتمرّد:

تمثل شخصية المتمرّد المرحلة الأولى للمقاومة، فهي لا تقل شأنًا عن شخصية المقاوم فكما ناضل هذا الأخير بروحه وجسده متصديًا للواقع المر فنجد المتمرّد رافضًا كل القوانين والسياسات الجائرة مؤمنًا بحقه في العيش بكرامة، متحديًا كل الظروف

تظهر هاته الشخصية في أفعال وأقوال بطل قصة أبعد من الحدود؛ شخصية هذا الشاب تعبر عن تمرد الفرد الفلسطيني الذي يصارع الاحتلال، فهذا الشاب حاول بتجربته الشخصية ووعيه السياسي أن يغير الواقع وأن ينتصر على خصمه، يبدأ هذا التمرد من خلال سكب الشاب لوعاء الحليب على رأس موظف الأونروا بعد أن التمس كوامن الخلل في مجتمعه " لقد سكبت دون أن أعي، كل محتويات وعاء الحليب فوق رأس الموظف وقلت له أنني لا أريد بيع وطني.."² "ينتج فعل التمرد هذا خلال لحظة من اللاوعي ومع هذا فهو نفس الفعل الذي يصفه البطل بالعقلاني"³ واعتبره لحظة الوعي الوحيدة في حياته بعد أن

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 52، 53.

² . المصدر نفسه، ص: 15، 16.

³ . حيدر توفيق بيضون، غسان كنفاني الكلمة والجرح، دار الكتب العلمية، لبنان، د ط، 1995م، ص: 35.

اتهموه بالجنون ووضعوه في السجن " لقد وضعوني في زنزانة سحيقة العمق لكي أقول أنها لحظة جنون.. ولكنني، في تلك الزنزانة، تيقنت أكثر من أية لحظة مضت بأنها كانت لحظة العقل الوحيدة في حياتي كلها..¹ يهرب البطل من مكان التحقيق كي يظهر بشكل مفاجئ في بيت رجل هام وهنا يقص حياته:

. (سوف ألقى خطابا أمامك)

سمع هذه الجملة بوضوح فحاول أن يرفع رأسه، إلا أنه كان مستمتعا بالدفع والنعاس، سأل نفسه: تراه من يكون؟

. (الشاب الذي هرب من النافذة، عاد من النافذة يا سيدي!)².

هذا التمرد أساسه قضية فقدان الوطن والأهل ، فيتحدى الشاب السلطة مستمدا من كرامته المجروحة إذ نعتوه بالخنزير وغيرها من الصفات "(الخنزير..أمسكوه!)³

" فإذا خطر لكم أن تسموها لصوصية، فإنهم لصوص..خيانة؟ كلهم إذن خونة ! فلماذا الإرهاق والتعب والنظرات البشرية المعقدة؟"⁴.

سُلب الفرد الفلسطيني من أبسط حقوقه الاجتماعية والسياسية مما جعل منه شخصية متمردة تائرة ضد الأوضاع المفروضة، مؤمنة بحقها في استرجاع الوطن " فأنا لست صوتا انتخابيا، وأنا لست مواطنا، بأي شكل من الأشكال، وأنا لست منحدرًا من صلب دولة تسأل بين الفينة والأخرى عن أخبار رعاياها..وأنا ممنوع من حق الاحتجاج، ومن حق الصراخ فماذا ستريح؟"⁵.

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 16.

² . المصدر نفسه، ص: 14.

³ . المصدر نفسه، ص: 16.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 18، 19.

⁵ . المصدر نفسه، ص: 17.

تظهر شخصية البطل المتمرد في قصة أخرى من قصص غسان كنفاني المعبرة عن رؤيته لكيفية الخلاص من الحالة التي يعيشها الفلسطيني في أرضه المحتلة وهي قصة ورقة من غزة؛ حيث يعلن بطل القصة تمرد من خلال الرسالة التي يرسلها إلى صديقه في كاليفورنيا مخبرا إياه بقراره بعدم اللحاق به " لقد غيرت رأيي، فأنا لن أتبعك (إلى حيث الخضرة والماء والوجه الحسن) كما كتبت، بل سأبقى هنا، ولن أبرح أبدا"¹.

يبدأ تمرد البطل لحظة شعور بالوعي ، بعد أن يرى ساق ابنة أخيه ناديا المبتورة، تلك الفتاة ذات الأعوام الثلاثة عشر التي ضحت بنفسها لتحمي إخوتها ، رغم أنه كان باستطاعتها الهرب، هنا ألهمت ساق ناديا المبتورة الشاب بطل القصة بأن يحمل لواء الدفاع عن الوطن ، وأن مكانه الحقيقي هو وطنه غزة الجريح ، ويكتشف عند ذلك أن غزة التي عهدا مكانا " أضيق من نفس نائم أصابه كابوس مريع، بأزقتها الضيقة، ذات الرائحة الخاصة، رائحة الهزيمة والفقر، وبيوتها ذوات المشارف النائفة "² أصبحت غزة جديدة "كانت غزة، يا مصطفى، جديدة كل الجدة، أبدا لم نرها هكذا أنا وأنت: الحجارة المركومة على أول حي الشّجعية حيث كنا نسكن، كان لها معنى كأنها وضعت هناك لتشرحه فقط...غزة هـ ذه ..كانت شيئا جديدا، كانت تلوح لي أنها..أنها بداية فقط " ³ ويختم رسالته بدعوة صديقه بالعودة إلى أرض الوطن ويتعلم من ساق ناديا المبتورة ويترك سعادته الأنانية فالسعادة الحقيقية تكون بالتضحية من أجل الوطن " لا يا صديقي ! لن آتي لسكرومتو... هذا الشعور الغامض الذي أحسسته وأنت تغادر غزة.. هذا الشعور الصغير يجب أن ينهض عملاقا في أعماقك.. يجب أن يتضاحم، يجب أن تبحث عنه كي تجد نفسك.. هنا بين أنقاض الهزيمة البشعة"⁴.

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 57.

² . المصدر نفسه، ص: 60.

³ . المصدر نفسه، ص: 62.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 63.

تعتبر شخصيات أرض البرتقال الحزين شخصيات وطنية ، عبرت عن توجه غسان النضالي التحرري، فشخصية معروف بطل قصة قتيل في الموصل ظهرت في بادئ القصة شخصية مستسلمة " هل سمع أحد في يوم ما أن (معروفا) يريد شيئا من هـ ذه الحياة؟ يهـمه أمر ما؟ يطمح لمستقبل محدد؟ يناضل من أجل هدف؟ يعيش لغاية؟ كلا " ¹ ثم لا يلبث أن يتغير تدريجيا وينتقل إلى العراق ويشارك في النضال ضد الثورة المضادة التي أعقبت ثورة تموز " لقد رفض معروف أن يهرب.. وأصر على أن يبقى هناك حتى تمتص الصراصير آخر خفقة ريح في المدينة " ² " كان في الموصل حينما حدثت الشرارة... واضطر أن يقدم نفسه للحريق... " ³ لتنتهي حياة معروف نهاية الأبطال فيسقط قتيلا على هيئة مصلي "سار قليلا قبل أن يصوب الرشاش إلى ظهره، ثم تدوي الطلقات المتتابعة ويسقط معروف على ركبتيه ورأسه بين كفيه، ثم تعجز ركبته فيهوي على وجهه.... كان منحنيا، مرتاحا على ركبتيه وجبهته، ولقد اضطر أخيرا لدفنه على تلك الشاكلة، كأنه يصلي... " ⁴.

3.1. شخصية المستسلم:

تجبر الحياة أحيانا الإنسان على العيش تحت ظروف قاسية ليس له بها حول ولا قوة، مما يضطره إلى تصرفات خارجة عن سيطرته، خاضعا لها، غير راضٍ عنها، وأدب كنفاني يزخر بمثل هاته الحالات التي تعبر عن استسلام الفرد لواقعه، فقصة أرض البرتقال الحزين عبارة عن سيرة ذاتية، الراوي فيها فرد من أفراد الأسرة يحادث أخاه ويصف أحداث الهروب بعد وقوعها، تبرز فيها ملامح الشخصية المستسلمة التي جسدها الأب المجر على ترك وطنه ليصبح لاجئا في أرض لبنان " رأيت صف السيارات الكبيرة يدخل لبنان طاويا معارج

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 83.

² . المصدر نفسه، ص: 92.

³ . المصدر نفسه، ص: 90.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 92، 93.

طرقاتها ممعنا في البعد عن أرض البرتقال...وعندما وصلنا صيدا، في العصر، صرنا لاجئين...¹

تظهر ملامح الاستسلام بصورة واضحة لديه "فبعد أن استقبل الأب بحماس الجيوش العربية في فلسطين يجد نفسه مرغما على الاعتراف بالهزيمة"² ومستسلما لليأس ولضياح فلسطين "قم.. فاشهد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين ... وانحدرنا عبر التلال حفاة في منتصف الليل إلى الشارع ... ولكن صياح أبيك كان يملك علينا وجودنا... لكنه مازال يركض وراء رتل السيارات كطفل صغير.. كنا نركض بجواره صائحين معه، وكان الجنود الطيبون ينظرون إلينا من تحت خو ذهم بجمود وصمت..."³ "لقد خدعتنا البلاغات ثم خدعتنا الحقيقة بكل مرارتها.. وأخذ الوجوم يعود إلى الوجوه من جديد.. وبدأ والدك يجد صعوبة هائلة في التحدث عن فلسطين وفي التكلم عن الماضي السعيد في بياراته وفي بيوته.."⁴ وهنا يدرك الأب الهزيمة فيستسلم لضياح فلسطين وضياح الماضي السعيد. وفي نهاية القصة يصل الأب إلى مرحلة من العجز النفسي تجعله يفكر في قتل نفسه وأولاده ليتخلص من الحياة البائسة، ثم يسقط مريضا وبجانبه البرتقالة الجافة التي تمثل حلم العودة الذي جف كما تتجدد مع مرور الأيام قشورها "أريد أن أقتلهم وأريد أن أقتل نفسي... أريد أن أنتهي.. أريد أن...."⁵ "لقد دخلت الغرفة متسللا كأنني المنبوذ.. وحينما لامست نظراتي وجه أبيك يرتجف بغضب ذبيح.. رأيت في الوقت ذاته المسدس الأسود على الطاولة الواطئة.. وإلى جواره برتقالة...كانت البرتقالة جافة يابسة..."⁶

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 74، 75.

² . حيدر توفيق بيضون، غسان كنفاني الكلمة والجرح، ص: 34.

³ . غسان كنفاني، المصدر السابق، ص: 77، 78.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 78.

⁵ . المصدر نفسه، ص: 79.

⁶ . المصدر نفسه، ص: 80.

4.1. شخصية المرأة:

تعتبر المرأة عنصراً هاماً في الشخصية الأدبية الروائية في عالم غسان كنفاني ، باعتبارها جزءاً من بناء الشعب الفلسطيني، فقد صورها غسان رافضة ومناضلة ، كما جاءت رمزا للثبات والأصالة ممثلة بالأرض، والمرأة تأخ ذ أشكالاً متعددة فهي المرأة الأم، المرأة الزوجة، المرأة الابنة، المرأة الأخت، و بتوى نجمة خليل حبيب أن "المرأة تتمثل في أدب كنفاني أما وزوجة ومناضلة وعانسا وبائعة هوى..."¹

شكلت المرأة في وعي كنفاني صورة القضية والأرض الفلسطينيين، يقول كنفاني: "يبدو أنني أحاول أن أستبدل الوطن بالمرأة"² فالمرأة معادل موضوعي للوطن وقد قدم كنفاني شخصية المرأة العربية الفلسطينية التي تميزت بالصبر والجلد والقوة والشجاعة وطرح صوراً موضوعية حقيقية للمرأة وأهدافها النبيلة فهي تقاوم الاحتلال والتهجير والقتل والاعتقالات والتعذيب، تلك المرأة التي باتت ترى أن المقاومة والثورة والكفاح هو طريق الخلاص والتحرر من الصهاينة أعداء الحياة لتبصر فلسطين مشرقة بشمس الحرية.

عرض غسان صوراً متعددة للمرأة فضلاً عن دور الأم التي تقدم أولادها للعمل الفدائي والثوري فأبدعت أنامله في رسم بطولة نسوية مفردة ذات ملامح جماعية ثورية وهي تجسيد للمرأة التي تشعر بمرارة الهزيمة وترفض ذل اللجوء والمخيمات، ففي قصة الأفق وراء البوابة يضعنا كنفاني أمام صورتين للمرأة تمثلان الموت في جيلين متباعدين: الجيل الأول هو دلال تلك الفتاة الصغيرة الغضة ذات الأعوام العشرة والجيل الثاني أمها العجوز ذات الشعر الأشيب التي تفقد ولديها دلال وبطل القصة علي ويحول موتهما دون رؤيتهما؛ القصة تحكي مأساة الطفلة الصغيرة دلال على يد اليهود "كان في الغرفة حين تفجرت جهنم في

¹ . نجمة خليل حبيب، النموذج الإنساني في أدب غسان كنفاني، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان، ط 1، 1999م، ص: 103.

² . غادة السمان، رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، دار الطليعة، لبنان، ط 1، 1992م، ص: 99.

وجهه..ارتد مع من ارتد حين بدا الظلام يطوي عكا، قاءت بندقيته القصيرة كل ما في جوفها ثم تحولت إلى عصا، مجرد عصا ناشفة لا تصلح لشيء، ذهب إلى غرفته وعانق دلال، كانت تبكي في ظل الرعب الذي خيم فوق المدينة، وقبل أن يعي، كانت الأكتاف قد انهدت فوق الباب، وانفتح رشاش ثرثار فزرع في الغرفة رصاصا كالمطر، ثم انكشف الدخان عن أربعة رجال يسدون أمام عينيه باب الغرفة الخشبي، ولكنه لم يتحرك، كانت دلال ترتعش في دمها بالخفقات الأخيرة من أنفاسها وعندما شدها إلى صدره كأنه يريد أن يسكب فيها قلبه ودمه، حدقت إليه ثم رفعت حاجبيها لتقول شيئا ولكن الموت سد الطريق أمام الكلمة.¹

دلال الطفلة ذات الأعوام العشرة تقتل على يد اليهود بدم بارد لا يتمكن أخوها من إنقاذها بل يكتفي بحملها بين ذراعيه أمام عيون المارة يستجدي عطفهم ودموعهم وقد ارتبطت دلال بالأرض وهو يعلم أنه بفقد أخته فقد كل شيء " ضيع جسدها البارد المتصلب، أحس بأنه فقد كل شيء..أرضه وأهله وأمله، ولم يعد يهمه أن يفقد حياته ذاتها " ² من وصف الكاتب ندرك معنى اختيار الأرض كأول فريد يعنيه فقد دلال، وه ذه الصورة الأولى للجيل الأول صورة القتل بدم بارد الذي يرتبط بقتل الأرض أيضا.

تلك القصة التي بقيت سرا خانقا لأخيها علي مدة عشر سنوات لا يستطيع التفوه به فدلال كانت كل شيء بالنسبة لأمه " دلال التي تعني لأمه كل شيء في البيت، هي التي تعطي المرأة العجوز نكهة الحياة حين يكون الموت في الجوار، وهي التي تعني الحياة كلها حين تعني الأشياء كلها الموت.³

أما المرأة العجوز فتمثل الجيل الثاني يطلق عليها الكاتب صفات تناسب حال القصة حيث بها معاني اليأس ودلائل العجز والموت، فيقول على لسان علي الذي يخاف أن يستقبلها بعد عشر سنوات من إخفاء سر دلال " وغدا سوف تلوح له بكفها المعروقة وسوف تندفع إليه

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 26.

² . المصدر نفسه، ص: 26.

³ . المصدر نفسه، ص: 25.

بشعرها الأشيب ووجهها العجوز المبتل بالدموع، سوف تتهمر فوق صدره وترجف كما يرجف طير صغير على وشك أن يموت، سوف تمرغ رأسها المكدود على وجهه دون أن تجد الكلمة التي تستطيع أن تشحنها بحبها المخ ذول فماذا عساه يقول لها.¹ "يجب أن يحررها من اللذبة ويحرر نفسه من القدر الأسود الذي حمله وحيدا، يجب أن يقول لها أن دلال مدفونة هناك، وأن قبرها الصغير لا يجد من يضع عليه باقة زهر في كل عيد، وأنها، أمها، على بعد أشبار من قبر عزيز لا يتيسر لها أن تزوره."²

عالج الأديب في هاته القصة الحنين إلى الوطن والأرض والندم لمغادرة الديار ووصف المذابح والمجازر التي تعرض لها الشعب الفلسطيني وأن فقدان الأهل هو فقدان للأرض والوطن.

صور كنفاني حياة المرأة الفلسطينية وفق رؤية واعية، فكانت المرأة الفلسطينية تكابد الأحزان وفقدان الأرض والأب والأخ والأبناء فقاومت مصادرة أرضها والاعتقال وممارسة العنف ضد شعبها من خلال "صفاتها المعنوية من حب للأبناء وإخلاص للقضية ودعم لأشكال النضال ومباركة لخطوات الأبناء التي تسلك طريق الآباء بكل ما تعني من الشرف والفداء"³ فهاهي الأم الصابرة التي تحن إلى أولادها وتشفق عليهم بصمت مبكي في قصة ورقة من الرملة "كنت أرى أيضا كيف كانت أُمي تنتظر باتجاهي وهي تبكي بصمت، وتمنيت لحظتك لو استطيع أن أقول لها أنني على ما يرام، وأن الشمس لا تؤثر في، بالشكل الذي تتصوره هي..⁴

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 24.

² . المصدر نفسه، ص: 27.

³ . يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ط1، 1999م، ص: 39، 40.

⁴ . غسان كنفاني، المصدر السابق، ص: 43.

"نظرت إلى أمي هناك بين النساء رافعة ذراعيها في الهواء كانت تبكي بصمت ولكنها في تلك اللحظة ضحكت بصمت من خلال بكائها ضحكة صغيرة دامعة"¹.

تتعدد صور المرأة الفلسطينية المثابرة والمكافحة التي تكافح لتبعد أبنائها عن أي خطر أو تهديد يتعرضون له " وبدافع من الاضطراب ال ذي تقع فيه الأم عندما يتعرض أبنائها للخطر..أخذت تدفعنا إلى خارج الغرفة دفعا وتطلب منا أن نهرب إلى الجبل..².

ترتبط المرأة في أدب غسان بالوطن ارتباطا وثيقا فهي المرأة المناضلة المقاومة التي تضحي بنفسها وأولادها من أجل أرض الوطن.

5.1. شخصية الطفل:

غدا الطفل الفلسطيني مسكونا بحب فلسطين وما يجري على ثراها، فشرع يتمنى أن يكون أحد أبطالها المناضلين، وأخذت أحلام العودة تكبر في نفسه ويرجو أن ينقل إلى ترابها ولو رفاتا بعد أن كان هذا الحلم محصورا بكبار السن من أبناء النكبة. فأطفال الحجارة كبروا ونضجوا نتيجة المعاناة الطويلة لممارسة العدو الوحشية في تجويع البطون واستمرار الحصار وتجريف الأرض وتهديم البيوت على العجائز والنساء والأطفال، لم يكن لهذا الطفل خيار إلا الدفاع عن وطنه ووجوده وحياته ولا يضيره أن يموت في سبيلهم.

برزت شخصية الطفل في العديد من قصص وروايات غسان كنفاني بروزا طاغيا بسبب ما عاناه الطفل الفلسطيني من بؤس وتشرد وذل اللجوء والحرمان، فأسند كنفاني في بعض قصصه ورواياته دور البطل إلى شخصية الطفل مثل قصة أرض البرتقال الحزين التي تبرز فيها شخصية الطفل بوصفه بطلا وراويا فكان الصوت المعبر عن الطبقة المعدمة.

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 45.

² . المصدر نفسه، ص: 79.

تجسد قصة أرض البرتقال الحزين البحث عن حلم مفقود في الطفولة في زمن التشرد والضياع والبؤس، إذ تروي القصة نزوح عائلة فلسطينية إلى لبنان بعد الهجوم الكبير على البلدة فيصف الطفل يوم خروجهم من فلسطين وابتعادهم عن الوطن " ففي ليلة الهجوم الكبير على عكا بدأت تتوضح الصورة أكثر فأكثر...كنت أقف متكئا بظهري على حائط البيت العتيق عندما رأيت أمك تصعد إلى السيارة، ثم خالتك، ثم الصغار، وأخذ أبوك يقذف بك وبإخوتك إلى السيارة، وفوق الأمتعة، ثم انتشلني من زاويتي ورفعني فوق رأسه إلى القفص الحديد في سقف غرفة السائق...وقبل أن أثبت نفسي في وضع ملائم، كانت السيارة قد تحركت...وكانت عكا الحبيبة تختفي شيئا فشيئا.¹

اتخذ المؤلف شخصية الطفل اللاجئ قناعا للتعبير عن الطفولة الحزينة فعائلة كنفاني كانت تسكن في حي المنشية الملاصق لتل أبيب فشهد ذلك الحي حوادث كبيرة كالاحتكاك والتوتر بين العرب والصهاينة فنزحت عائلته مع عوائل أخرى من يافا إلى عكا ثم صيدا في لبنان . يصف هذا الطفل دخولهم إلى لبنان والحزن الذي خيم عليهم لمغادرة الديار وتوديعهم لأرض البرتقال "وقفت سيارتنا بجانب سيارات كثيرة... وبدأ الرجال يسلمون أسلحتهم إلى رجال الشرطة الواقفين لهذا الغرض...وعندما أتى دورنا، ورأيت البنادق والرشاشات ملقاة على الطاولة...ورأيت صف السيارات الكبيرة يدخل لبنان طاويا معارج طرقاتها ممعنا في البعد عن أرض البرتقال...أخذت أنا الآخر، أبكي بنشيج حاد...وكانت تلتمع في عيني أبيك كل أشجار البرتقال التي تركها لليهود...وترسم لماعة في دموع لم يتمالكها أمام ضابط المخفر...

وعندما وصلنا صيدا، في العصر، صرنا لاجئين...²

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 73.

² . المصدر نفسه، ص: 74، 75.

يظهر في القصة مدى ويلات اللجوء وما تثيره في نفس الطفل اللاجئ من مخاوف وتوترات وشكوك وانفعالات إزاء الغربة والابتعاد عن الوطن ،كما نستشف من حديث الطفل أن الوطن بالنسبة له يمثل الأمان والطمأنينة والشعور بالانتماء الذين فقدهم بفقدانه لوطنه " إن الليل شيء مخيف...والعتمة التي كانت تهبط شيئاً فشيئاً فوق رؤوسنا، كانت تلقي الرعب في قلبي..مجرد أن أفكر في أنني سأقضي الليل على الرصيف كان يستثير في نفسي شتى المخاوف "¹

يظهر في قصة ورقة من غزة الطفلة ناديا ذات الأعوام الثلاثة عشر والتي ضحت بنفسها في سبيل إنقاذ إختوتها فكانت ضحية الدمار والقتل واليد الصهيونية الجائرة التي لم تفرق بين طفل وشيخ وامرأة " إن ناديا فقدت ساقها عندما ألقت بنفسها فوق إختوتها الصغار تحميمهم من القنابل واللهب وقد أنشبا أظفارهما في الدار، كان يمكن لناديا أن تتجو بنفسها، أن تهرب..أن تتخذ ساقها، لكنها لم تفعل " ².

لم يسلم الطفل الفلسطيني من وحشية وهمجية الاحتلال الصهيوني "فهل لجنود الاحتلال أطفال مثلنا ؟ هؤلاء جنود بلا قلوب، فلو كانت لهم قلوب... لما حولوها إلى طفلة شوهاء معاقة تعتصم بدموعها"³.

يبرز من خلال ما تطرقنا إليه مدى أهمية الوطن في بناء وتشكيل الطفل، فالوطن بالنسبة له الأمن والاستقرار والشعور بالانتماء الذي يفقده بفقدانه لوطنه.

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 76.

² . المصدر نفسه، ص: 63.

³ . صالح أبو أصبع و آخرون، ثقافة المقاومة، مطبعة الخط العربي، الأردن، ط 1، 2006م، ص: 262.

2. الشخصيات المعادية للوطن:

1.2. شخصية الصهيوني الطاغية:

خص الله بني إسرائيل بحكم النهي عن القتل الذي استمرؤوه بحق البشرية فقال ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة 32. ترى هيام عبد الكاظم إبراهيم أن الشخصية الصهيونية تتميز " في روايات وقصص كنفاني بأنها شخصية مسطحة متعطشة للدماء وعنصرية تبغض الآخرين، وهي ميالة للسطوة والتجبر وتتعامل مع الآخرين على أساس الدين والعرق... فالشخصية الصهيونية متعطشة لدماء الأبرياء ولا تفرق بين الكبار والصغار وتتنظر إلى الآخر بعين العنصرية والاستبداد والتطرف" ¹

يتمثل هذا الطغيان في صورة اليهودي الظالم الذي يمارس كل سياسات القمع والتعذيب وذلك في قصة ورقة من الرملة؛ حينما تقتل مجنونة يهودية ابنة أبي عثمان وهي بجوار والدها " وببساطة شديدة رفعت اليهودية مدفعها الصغير، وصوبته إلى رأس فاطمة، الصغيرة السمراء ذات العيون السوداء المتعجبة دائماً" ²

لم يتوقف الظلم والاستبداد الصهيوني عند هذه الصغيرة البريئة، فهاهو يظهر بصورة أبشع عند قيام الجندي برفس والدتها العجوز وطرحها أرضاً ثم قتلها دون أن يرف له جفن " ورأيت بعيني كيف رفسها الجندي بقدمه، وكيف سقطت العجوز على ظهرها ووجهها ينزف دماً، ثم رأيته، بوضوح كبير، يضع فوهة بندقيته في صدرها، ويطلق رصاصة واحدة.. " ³

¹ . هيام عبد الكاظم إبراهيم، الشخصية في قصص وروايات غسان كنفاني، مجلة كلية التربية، العراق، العدد 11، ص: 106، 107.

² . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 44.

³ . المصدر نفسه، ص: 45.

يمتد الطغيان الصهيوني ليشمل الكل الفلسطيني صغيره وكبيره حتى صار التعذيب أمرا يتلذذ ويستمتع به هذا الطاغية " ساعة رأيت مجندة يهودية تعبت ضاحكة بلحية عمي أبي عثمان.."¹ " توجه الجندي ذاته نحوي، وبهدوء شديد طلب مني أن أرفع ساقي التي أنزلتها للأرض دون أن أشعر وعندما رفعت ساقي راضخا، صفعني مرتين، ومسح ما علق على ظاهر يده من دم فمي، بقميصي "².

تأصلت في نفس اليهود على مر الأيام المكر والخداع، وهذا ما يبرز واضحا في سلوكهم وفي حياتهم على اختلاف مراحلها فاليهود قوم قد مارسوا كل فعل قبيح وقد برز هذا بصورة واضحة في قصة ورقة من الطيرة حينما غدرت يهودية مستوطنة بسائق السيارة بعد أن قام بمساعدتها فكان جزاؤه القتل " اسمع ماذا جرى لهذا المحارب المذهب..لقد كان سائقا لسيارة عمومية، وشاهد امرأة يهودية تعدو هاربة أمام مجموعة من الأطفال كانوا يرمونها بالحجارة...فما كان منه إلا أن نهر الأطفال، وأمسك المرأة من يدها، وقادها إلى حيث أوقف سيارته، وذهب بها إلى أهلها في تل أبيب، هل تعرف ماذا حدث هناك ؟ لقد سرقوا سيارته، وقتلوه. مزقوه ورموا بجثته مقابل جامع الشيخ حسن.. "³.

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 44.

² . المصدر نفسه، ص: 45.

³ . المصدر نفسه، ص: 54.

ثانيا/ المكان والوطن في الرواية:

تمهيد:

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة ودلالة خاصة، فهو الحيز الـذي تدور فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات، وهو عنصر مهم في تماسك شخصيات الرواية وأحداثها. "احتل المكان مساحة واسعة من ذاكرة أبطال غسان...ولعل هـذا يرجع إلى الهاجس الكبير الذي يلاحقه منذ اللحظات الأولى لسقوط مدنه وقراه في أيدي اليهود وخروجه إلى المنفى حيث يقول في إحدى قصصه: عندما كنت أبتعد عن الدار كنت أبتعد عن طفولتي في الوقت ذاته كنت أشعر أن حياتنا لم تعد شيئا سهلا علينا أن نعيشه بهدوء"¹

يرتبط اختيار المكان بالبنية النفسية للكاتب فيكتسب المكان أهمية إـذا ما عبر عن أبعاد الإنسان النفسية والاجتماعية "فإحساس الشخصية الإنسانية بالمكان والزمان هما أساس الشعور بالتواجد والكيان الفردي والاجتماعي، كما أنهما يوحيان إلى مدى سعادة الفرد وتعاسته، ويكشفان عن قدرته على الاستجابة للعوامل المحيطة به، نفسية واجتماعية "² ومن الواضح أن اختيار المكان مرتبط ببنية غسان النفسية من حيث علاقته بالأرض المفقودة لأنه أول من عانى مأساة التجربة المكانية، حيث كان يعمل في الكويت فأرقه المكان حتى استشاده، يقول في إحدى رسائله "لقد حاولت أن استبدل الوطن بالعمل ثم بالعائلة ثم بالكلمة ثم بالعنف ثم بالمرأة، وكان دائما يعوزني الانتساب الحقيقي...الـذي يهتف بنا حين نصحو في الصباح "لك شيئا في هـذا العالم فقم" أعرفته؟ كنت أريد أرضا ثابتة أفق فوقها.

¹ . فاروق وادي، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، د ط، 1981م، ص:

52.

² . أحمد إبراهيم الهواري، الرحيل إلى الأعماق، مجلة فصول، مصر، العدد4، 1982م، ص: 65.

ونحن نستطيع أن نخدع كل شيء ماعدا أقدامنا إننا لا نستطيع أن نقنعها بالوقوف على رقائق جليد هشة معلقة في الهواء¹

1. المدينة:

هي المكان الذي تلتقي فيه كل عناصر الحياة المنتشرة، تتعدد بها وجوه الإنتاج الحضاري، وهي مكان لرصد التغييرات من حيث الحركة أين تتقاطع مشاهد الأحياء والأزقة والطرق والشوارع والمنازل، إذن فالمدينة " تعتبر الوسط الذي يتم فيه العبور من الحاضر إلى الماضي كما أنها تجمع جميع فئات المجتمع من شباب وكهول وأطفال، وتحدد لنا ميزة العلاقات الأسرية والصدقة²

جاءت المدينة في رواية أرض البرتقال الحزين في عدة قصص وبرزت من خلال ذكر العديد منها: فلسطين، عكا، غزة، الطيرة، الرملة...

1.1. فلسطين: " يرتبط الإنسان الفلسطيني بالأرض ارتباطا وثيقا يرجع في المقام الأول إلى خصوصية التجربة الفلسطينية، فهي تجربة مرة وقاسية خاض خلالها الإنسان الفلسطيني صراعا مريرا مع العدو، وكانت الأرض محوره حيث أن الفكر الصهيوني فكر استيطاني يركز على الأرض ويعمل على تجريد الفلسطيني من أرضه قسرا، لذلك احتل موضوع الوطن حيزا كبيرا في الأدب الفلسطيني³ " وهذا ما نجده بارزا في رواية أرض البرتقال الحزين، لفلسطين حاضرة في أغلب قصص الرواية. في قصة ورقة من الطيرة تحدث غسان عن ضياع فلسطين " فلسطين ضاعت لسبب بسيط جدا، كانوا يريدون منا - نحن الجنود - أن

¹ . غادة السمان، رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، ص: 99.

² . عبد الحميد بورايو، منطق السرد دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات، الجزائر، دط، 1994م، ص: 146.

³ . جميل إبراهيم أحمد كلاب، الرمز في القصة الفلسطينية القصيرة في الأرض المحتلة، الجامعة الإسلامية، فلسطين، 2004.2005، ص: 34.

نتصرف على طريقة واحدة، أن ننهض إذا قالوا انهض وأن ننام إذا قالوا نم وأن نتحمس ساعة يريدون منا أن نتحمس، وأن نهرب ساعة يريدوننا أن نهرب...وهك ذا إلى أن وقعت المأساة، وهم أنفسهم لا يعرفون متى وقعت، إنهم لم يعرفوا قط كيف يقودون جنودهم¹ "لقد كان هنالك أيضا بعض القادة المخلصين...ولكن ما ذا يستطيع الواحد منهم أن يفعل لوحده"²

يشير الكاتب من خلال ه ذا إلى أن ما آلت إليه حال فلسطين من ضياع وانقسام لم يكن إلا بسبب قادتتها وحكامها، كما يظهر ذلك في قصة أرض البرتقال الحزين حينما خذلت الجيوش العربية أرض الميعاد بعد أن توعدوا باسترجاع فلسطين، وزرعوا الأمل في نفوس الفلسطينيين "قم..فاشهد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين...وانحدرنا عبر التلال حفاة في منتصف الليل إلى الشارع...كنا كلنا صغارا وكبارا نلهث ونحن نركض كالمجانين...وكان الجنود الطيبون ينظرون إلينا من تحت خو ذهم بجمود وصمت"³ "لقد خدعتنا البلاغات ثم خدعتنا الحقيقة بكل مرارتها وأخ ذ الوجوم يعود إلى الوجوه من جديد...وبدأ والدك يجد صعوبة هائلة في التحدث عن فلسطين وفي التكلم عن الماضي السعيد في بياراته وفي بيوته"⁴

تكشف صفحات القصة عن مدى تعلق الفرد الفلسطيني بالبرتقال ال ذي يمثل فلسطين وضياع البرتقال هو ضياع فلسطين، كما توضح معاناته في الابتعاد عن الوطن وتركه مجبرا ليصبح لاجئا في لبنان "رأيت صف السيارات الكبيرة يدخل لبنان طاويا معارج طرقاتها ممعنا في البعد عن أرض البرتقال...أخذت أنا الآخر أبكي بنشيج حاد...كانت أمك مازالت

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 50.

² . المصدر نفسه، ص: 51.

³ . المصدر نفسه، ص: 77، 78.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 78.

تتظر إل البرتقالة بصمت...وكانت تلتمع في عيني أبيك كل أشجار البرتقال التي تركها لليهود...وترتسم لماعة في دموع لم يتمالكها أمام ضابط المخفر...¹

2.1. غزة: في قصة ثلاث أوراق من فلسطين تمثلت غزة أحد هاته الأوراق وهي ورقة

من غزة عندما تحدث الكاتب فيها عن مدينة غزة، غزة ذاك الوطن الجريح، تلك الأرض المغتصبة التي نلتمس فيها أحزان الفرد الفلسطيني فيصفها كنفاني تحت القصف والدمار والحالة التي آلت إليها " ضرب اليهود مركز الصبحة وقذفوا غزة، غزتنا بالقنابل واللهب"²

يتضح في هاته القصة تطلعات الشاب إلى الحياة الكريمة التي تتوفر على أدنى شروط الحياة من خلال بطل القصة الذي يود مغادرة غزة سعيا للعيش الهانئ، غزة التي يكره العيش فيها ويراهم مكانا ضيقا نتتا لأبد من مغادرته "إنني أكره غزة، ومن في غزة...كل شيء في البلد المقطوع يذكرني بلوحات فاشلة رسمها بالدهان الرمادي إنسان مريض"³ "وجدت غزة كما تعهدتها تماما...انغلاقا كأنه غلاف داخلي، ملتف على نفسه، لقوقعة صدئة قذفها الموج إلى الشاطئ الرملي اللزج قرب المسلخ، غزة هذ، أضيق من نفس نائم أصابه كابوس مريع بأزقتها الضيقة، ذات الرائحة الخاصة، رائحة الهزيمة والفقر، وبيوتها ذوات المشارف الناتئة"⁴ وسرعان ما تتغير غزة في نظر هذا الشاب متخذا من ساق ابنة أخيه درسا في التضحية من أجل الوطن وحب الوطن، فنجده يصفها وصفا جديدا وكأنه يراها لأول مرة فيصف الشمس والحجارة والناس والشوارع "كانت الشمس الساطعة تملأ الشوارع بلون الدم..كانت غزة، يا مصطفى، جديدة كل الجدة، أبدا لم نرها هك ذا أنا وأنت: الحجارة المركومة على أول حي الشجعية، حيث كنا نسكن، كان لها معنى كأنما وضعت هناك لتشرحه فقط، غزة ه ذه، التي عشنا فيها ومع رجالها الطيبين سبع سنوات في النكبة كانت شيئا جديدا، كانت تلوح لي

¹. غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 74، 75.

². المصدر نفسه، ص: 59.

³. المصدر نفسه، ص: 59.

⁴. المصدر نفسه، ص: 60.

أنها.. أنها بداية فقط، لا أدري لما ذا كنت أشعر أنها بداية فقط، كنت أتخيل أن الشارع الرئيسي، وأنا أسير فيه عائداً إلى داري، لم يكن إلا بداية صغيرة لشارع طويل طويل"¹

3.1. عكا: تبدأ قصة أرض البرتقال الحزين بتقديم مدينة عكا وهي المدينة التي ولد فيها الكاتب وأمضى فيها العديد من أيام حياته، غير أن زيارته لهاته المدينة تزامنت مع الهجوم الكبير على عكا " كنا كمن يخرج كل عام ليمضي أيام العيد في مدينة غير مدينته، ومرت أيامنا في عكا مروراً عادياً لا غرابة فيه... ففي ليلة الهجوم الكبير على عكا بدأت الصورة تتوضح أكثر فأكثر.."² صور لنا الكاتب هذا اليوم الذي كان من أكثر الأيام وجعا وحزنا حين كانت تودع رجالها ونسائها الذين أجبروا على لرحيل فألقوا في المنافي " وكانت عكا الحبيبة تختفي شيئاً فشيئاً في منعرجات الطرق الصاعدة إلى رأس الناقورة..."³ وقد وصف ساعة خروجهم من أرض البرتقال وصفاً حزيناً، هـ ذا البرتقال الذي يمثل الوطن والأرض والتراب " وحقول البرتقال تتوالى على الطريق.. وشعور بالخوف يتآكلنا جميعاً.. والسيارة تصعد لاهثة فوق التراب الندي... وطلقات بعيدة كأنها تحية الوداع..."⁴ " ونزلت النسوة من بين الأمتعة وتوجهن إلى فلاح كان يجلس القرفصاء واضعاً سلة برتقال أمامه مباشرة.. وحملن البرتقال... ووصلنا صوت بكائهن... وبدأ لي ساعتذاك أن البرتقال شيء حبيب... وأن هـ ذه الحبات الكبيرة النظيفة هي شيء عزيز علينا... كانت النساء قد اشتريتن برتقالات حملنها معهن إلى السيارة، ونزل أبوك من جانب السائق، ومد كفه فحمل برتقالة منها.. أخ ذ ينظر إليها بصمت... ثم انفجر يبكي كطفل بائس...."⁵

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 62.

² . المصدر نفسه، ص: 73.

³ . المصدر نفسه، ص: 73، 74.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 74.

⁵ . المصدر نفسه، ص: 74.

2. البيت: هو المكان الذي ينشأ ويكبر فيه الإنسان، وهو الملاذ الآمن الذي يأوي إليه

بحثاً عن الراحة والاستقرار فهو "ليس مجرد مكان نحيا ونسكن فيه وإنما هو جزء من كياننا ووجودنا الإنساني"¹

"شغل البيت حيزاً مهماً في حياة الإنسان، إذ أن البيت هو ملجأ كل إنسان بعد يوم من العناء والشقاء والعمل، وهو غالباً ما يكون مصدر الراحة والأمن والطمأنينة التي يسعى إليها كل شخص"² ففي قصة أبعد من الحدود يصور غسان كنفاني صعود الرجل الهام إلى بيته طلباً للراحة بعد تعب العمل "صعد الرجل الهام الدرجات القليلة إلى بيته، فتح له الباب، ألقى محفظته الجلدية فوق الطاولة، قبل زوجته، نظر إلى طفله النائم في الحرير الأزرق، فك رباط عنقه، ساعده الخادم على خلع حذائه، أخذت زوجته المعطف، علقتة على المشجب، فرك يديه مستمتعا بالدفء."³

يبرز البيت مدى تعايش الأشخاص وتفاعلهم مع هذا الوسط حيث يأخذ فيه الإنسان كامل استقلاله وحرية دون أية قيود "قام عن الكرسي الوثير، انتعل شحاتته ذات الفرو، اجتاز الباب إلى غرفة الطعام، جلس في كرسيه المفضل، قرب وجهه من صحن الحساء واستمتع بالبخر المتصاعد منه"⁴

يتجسد البيت في قصة السلاح المحرم مكاناً يلجأ إليه الإنسان سعياً للراحة "كان أبو علي عائداً إلى داره، لقد أقفل دكانه قبل المغيب بسبب توقعه وأراد أن يذهب إلى البيت فيستريح على الكرسي الصغير أمام الباب قبل أن يتناول عشاءه ويأوي إلى فراشه"⁵، كما يظهر البيت مكاناً للألفة والمحبة بين أفراد العائلة "فضل أبو علي أن لا يبقى في الدكان،

¹ . غادة الإمام،جماليات الصورة، التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2010م، ص: 290.

² . مهدي عبيدي، جمليات المكان في ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة للكتاب، سوريا، دط، 2011م، ص: 48.

³ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 13.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 14.

⁵ . المصدر نفسه، ص: 29.

وإذا كان لابد من حدوث أي حادث، لا سمح الله، فليكن إذن بين الأهل، بين ذراعي أم علي وعلى مرأى من علي¹

يمثل بيت أبو علي واجهة القرية مما جعل منه مبعثاً للأمن والطمأنينة لأهل القرية فأبو علي يتصدى للضباع كل شتاء ويحول دون دخولها للقرية، يصف غسان هـ ذا البيت مبرزاً أهميته بسبب موقعه " إن بيت أبي علي هو البيت الأول في القرية، إنه يقع على الحافة الغربية، فوق تلة مزروعة بالزيتون... كان بيت أبو علي باب القرية وحدها الغربي، وفي الأحراش الممتدة تحت تل الزيتون كانت تكثر الضباع التي كانت تزحف إلى القرية إذا ما اشتد البرد في حمأ الشتاء بحثاً عن الطعام وربما الدفء، وكان بيت أبو علي قد حمل - دون أن يكلف من قبل أي إنسان - مهمة صد الضباع في كل شتاء لأنه الحد الفاصل بين الأحراش وبين القرية"²

استطاع غسان من خلال توظيفه للبيت أن يبين مكانة وأهمية هـ ذا الوسط بالنسبة له ومدى ارتباطه العاطفي به، فالبيت بالنسبة له الوطن، والابتعاد عن البيت ابتعاد عن الوطن.

¹ . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 29.

² . المصدر نفسه، ص: 36.

3. الشوارع والطرق:

نالت حظاً وافراً في رواية أرض البرتقال الحزين، حيث تعتبر أماكن انتقال ومرور فهي تشهد حركة الشخصيات " وهي أماكن عامة تمنح للناس حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الإطلاع والتبدل لذا فهي أمكنة انفتاح تفتتح على العالم الخارجي، تعيش دوماً حركة مستمرة تؤدي وظيفة مهمة فهي سبيل الناس إلى قضاء حوائجهم"¹

وردت لفظة الطريق في قصة أبعد من الحدود مجرد لفظ عابر دون صورة محددة " لقد كنت ماشياً في الشارع وفجأة سقطت الفكرة في رأسي"²

ذكر غسان حي الشجعية في قصة ورقة من غزة هـ ذا الحي الذي يمثل جزءاً كبيراً من ذاكرته، لم يصف شكل الحي وإنما ركز على الجانب المعنوي منه " لم يتغير وجهك عن الوجه الذي نشأت به في حي الشجعية في غزة، لولا هـ ذه الغضون المسطحة، لقد نشأنا معاً"³، ثم يصف شوارع غزة التي تمثل الوطن المغتصب ورائحة الحرب والقصف والدمار " بأزقتها الضيقة، ذات الرائحة الخاصة، رائحة الهزيمة والفقر... كانت الشمس الساطعة تملأ الشوارع بلون الدم"⁴

تمثل الطريق في قصة أرض البرتقال الحزين معاناة الفلسطينيين في الابتعاد عن أرض الوطن " كانت عكا الحبيبة تختفي شيئاً فشيئاً في منحرجات الطرق الصاعدة إلى رأس الناقورة... وحقول البرتقال تتوالى على الطريق... صف السيارات الكبيرة يدخل لبنان طوايا معارج طرقاتها ممعناً في البعد عن أرض البرتقال"⁵

¹ . الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، علم الكتب الحديثة، لبنان، ط1، 2009م، ص: 244.

² . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 17.

³ . المصدر نفسه، ص: 58.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 62.

⁵ . المصدر نفسه، ص: 74.

كان للطريق دور في احتواء اللاجئين ومعاناتهم " احتوتنا الطريق فيمن احتوت...وأنا نحن اللاجئين البشر، القاعدين على الرصيف منتظرين قدرا جديدا يحمل حلا ما"¹

اتخذت الطرق والشوارع صورا متعددة لمعاناة اللاجئ الفلسطيني، تبث في نفسه الخوف والهلع وتشعره بالبرد والحر " مجرد أن أفكر في أنني سأقضي الليل على الرصيف كان يستثير في نفسي شتى المخاوف ولكنه خوف قاس جاف" ² " حين وصلنا إلى الشارع أحسنا بالبرد..."³

4. الجبل:

ارتبطت دلالة الجبل بالمقاومة والثورة في سبيل تحرير الوطن فإبراهيم أبودية مقاوم بدأ مسيرته النضالية عن طريق الجبل فقد كان " يأخ ذ الرسائل عبر الجبال إلى الرفاق، ثم كبر إبراهيم وحمل البارودة ونزل إلى المعركة "⁴

برز الجبل في قصة أرض البرتقال الحزين مكانا يلجأ إليه الإنسان ويحتمي به عند شعوره بالخطر " وبدافع من ذلك الاضطراب ال ذي تقع فيه الأم عندما يتعرض أبنائها للخطر..أخذت تدفعنا إلى خارج الغرفة دفعا وتطلب منا أن نهرب إلى الجبل"⁵

¹ . غسان كنفاني أرض البرتقال الحزين، ص: 75.

² . المصدر نفسه، ص: 76.

³ . المصدر نفسه، ص: 77.

⁴ . المصدر نفسه، ص: 51.

⁵ . المصدر نفسه، ص: 79.

5. المقبرة:

هو المكان الذي ينتهي إليه كل إنسان " وهو المكان الوحيد الذي يعمه العدل فلا فرق بين الغني والفقير فيه، فكل له شبر من هـ ذه الأرض ليكون مسكنه الأبدي إلى غاية يوم الحساب"¹

ظهرت المقبرة في رواية أرض البرتقال الحزين بصورتين فهي في الصورة الأولى مكان يبتئ الحزن والألم في نفس الإنسان لفقد الأمل في لقاء الأحبة، وه ذا ما تمثل في قصة الأفق وراء البوابة " يجب أن يقول لها أن دلال مدفونة هناك وأن قبرها العزيز لا يجد من يضع عليه باقة زهر في كل عيد، وأنها، أمها، على بعد أشبار من قبر عزيز لا يتيسر لها أن تزوره"². أما الصورة الثانية فقد جسدت المقبرة حب الوطن من خلال أبي عثمان الذي لطالما تمنى أن يدفن في مقبرة الرملة " كل ما كان يطلب هو أن يدفن في مقبرة الرملة الجميلة المزروعة بالأشجار الكبيرة، هذا كان كل ما يريده من الناس..كل رجال القرية يعرفون أن أبا عثمان لا يريد إلا أن يدفن في مقبرة الرملة عندما يموت"³.

¹ . كيمور أسماء، بنية المكان والشخصية في رواية قصة حياة في طي النسيان لعبلة قدوار، جامعة المسيلة،

2016.2017، ص: 57.

² . غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص: 27.

³ . المصدر نفسه، ص: 27.

خاتمة

خاتمة:

ختاما يجدر بنا أن نحصي جملة النتائج التي خلصنا إليها من خلال دراستنا هذه والتي جاءت تحت عنوان " الارتباط بالوطن في رواية أرض البرتقال الحزين لغسان كنفاني " لكي تعطي نظرة شاملة حول الموضوع، وقد جاءت هذه النتائج كالتالي:

- يعد موضوع الوطن أكثر المواضيع فعالية وانجذابا وتشويقا، وهو أكثر المواضيع التي نظم فيها الأدباء أغراضهم، ذلك لكونه مقوما أساسيا من مقومات الوجود الحضاري

- نلاحظ من خلال هذه الرواية إمكانية الكاتب الأدبية والفكرية

- نلمح ارتباط غسان كنفاني بالمقاومة الهادفة إلى تحرير فلسطين فكانت فلسطين الموضوع الرئيس الذي تدور حوله أحداث الرواية

- يغلب على الرواية الواقع الحياتي فقد التزم غسان بالقضية الفلسطينية التزاما حادا، فيصور حياة البؤس والتشرد واللجوء كما يصور حياة النضال والكفاح والصمود

- دعوة الكاتب إلى ضرورة الكفاح المسلح وذلك من خلال توظيفه للسلاح في قصة "السلاح المحرم"

- يصور الكاتب تأثير التهجير الإجباري على كل الطبقات الاجتماعية الفلسطينية خاصة الأطفال

- استطاع الروائي رصد شخصياته بدقة وعناية من حيث حياتها وأوضاعها ووصفه لأبعادها الجسمية والنفسية في بعض الأحيان

- عبر الكاتب من خلال شخصية الطفل لحنية وجود وبقاء الجيل الفلسطيني الناشئ الذي يجب إعداده من أجل استعادة الوطن

- تعدد الأمكنة وتنوع المواضيع أفضى إلى الرواية جمالا وتشويقا
- تدور أحداث القصص بأماكن واقعية متصلة بالطبقة الشعبية
- يتخذ المكان في الرواية دور البطولة، فقد شكل هاجسا للفلسطيني ومأساته الحقيقية فهو الموضوع الذي يدور حوله الصراع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، سوريا، ط 1، 2002م.

أبو عيسى محمد الترمذي، سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، دت.

المصادر:

4. غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط 4، 1987م.

المراجع:

5. أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 4، 2005م.

6. إحسان عباس وآخرون، غسان كنفاني إنساناً وأديباً ومناضلاً، منشورات الإتحاد العام للكتاب الفلسطينيين، لبنان، ط 1، 1974م.

7. حيدر توفيق بيضون، غسان كنفاني الكلمة والجرح، دار الكتب العلمية، لبنان، دط، 1995م.

8. رفيقة البحوري، الأدب الروائي عند غسان كنفاني، دار التقدم للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 1982م.

9. الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، علم الكتب الحديثة، لبنان، ط 1، 2009م.

10. صالح أبو أصبع وآخرون، ثقافة المقاومة، مطبعة الخط العربي، الأردن، ط 1، 2006م.

11. صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني: جمالية السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م.
12. عبد الحميد بورايو، منطق السرد: دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات، الجزائر، دط، 1994م.
13. عبد المنعم إبراهيم الجميعي، شاعر النيل حافظ إبراهيم، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، دط، 2012م.
14. غادة الإمام، جماليات الصورة، التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2010م.
15. غادة السمان، رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، دار الطليعة، لبنان، ط1، 1992م.
16. غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط6، 2004م.
17. فاروق وادي، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، دط، 1981م.
18. محمد دكروب، مقالات فارس فارس، دار الآداب، لبنان، ط1، 1996م.
19. محمد صالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط10، دت.
20. محمد النويهي، قضية الشعر الجديد، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 1971م.
21. محمود درويش، الديوان، م1، دار العودة، لبنان، ط14، 1994م.
22. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة للكتاب، سوريا، دط، 2011م.

23. نجمة خليل حبيب، النموذج الإنساني في أدب غسان كنفاني، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان، ط1، 1999م.

24. نصر عباس، الفن القصصي في فلسطين، دار العلوم للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1982م.

25. يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ط1، 1999م.

المعاجم:

26. أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، لبنان، دط، 1987م.

27. علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، م1، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2004م.

28. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، م15، دار صادر، لبنان، دط، دت.

29. مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، دار الكتب العلمية، لبنان، دط، دت.

المجلات:

30. أحمد إبراهيم الهواري، الرحيل إلى الأعماق، مجلة فصول، مصر، العدد 4، 1982م.
31. أحمد هاشم السامرائي، الأديب غسان كنفاني، دراسات وأبحاث في الأدب الفلسطيني الحديث، ج4، العراق، دت.
32. أوس داوود يعقوب، غسان كنفاني الشاهد والشهيد، مجلة فكر، سوريا، العدد 113، 2011م.
33. فيصل الدراج، شؤون فلسطينية، لبنان، العدد 66، 1974م.
34. حديث ينشر لأول مرة، شؤون فلسطينية، لبنان، العدد 35، 1974م.
35. هيام عبد الكاظم إبراهيم، الشخصية في قصص وروايات غسان كنفاني، مجلة كلية التربية، العراق، العدد 11، دت.

الرسائل الجامعية:

36. أسماء كيمور، بنية المكان والشخصية في رواية قصة حياة في طي النسيان لعبلة قدوار، جامعة المسيلة، 2016-2017.
37. جميل إبراهيم أحمد كلاب، الرمز في القصة الفلسطينية القصيرة في الأرض المحتلة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2004-2005.

المواقع الإلكترونية:

38. سامر حمدان، أقوال محمود درويش عن فلسطين، موضوع، 2016

<http://www.mawdoo3.com>

39. سامر حمدان، أقوال محمود درويش عن الوطن، موضوع، 2015

<http://www.mawdoo3.com>

40. عدنان كنفاني، غسان كنفاني أيها الغائب الحاضر، شبكة فلسطين للحوار، 2012

<http://www.paldf.net>

41. أبو هيف عبد الله قصة المقاومة عند غسان كنفاني، الدستور، 2008

<http://www.addustour.com>

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ - ب

مدخل: في التعريف بالرواية

أولاً: تقديم رواية أرض البرتقال الحزين	4
ثانياً: ملخص الرواية.....	5

الفصل الأول: الوطن والوطنية وتجلياتها في الأعمال الأدبية العربية

أولاً: مفهوم الوطن والوطنية.....	10
1. لغة.....	10
2. اصطلاحاً.....	11
3. الوطنية من منظور شرعي.....	12
ثانياً: مظاهر الوطنية في الأعمال الأدبية العربية.....	14
1. محمود درويش.....	14
2. أبو القاسم الشابي.....	16

3.	حافظ إبراهيم.....	17
ثالثا:	غسان كنفاني، أدبه والقضية الفلسطينية.....	18
1.	لمحة عن الكاتب غسان كنفاني.....	18
2.	أدبه.....	22
3.	غسان والقضية الفلسطينية.....	26

الفصل الثاني: تجليات الوطن في رواية أرض البرتقال الحزين

أولا:	الشخصيات والوطن في الرواية.....	31
1.	الشخصيات الوطنية.....	31
1.1.	شخصية المقاوم.....	31
2.1.	شخصية المتمرّد.....	35
3.1.	شخصية المستسلم.....	38
4.1.	شخصية المرأة.....	40
5.1.	شخصية الطفل.....	43
2.	الشخصيات المعادية للوطن.....	46
1.2.	شخصية الصهيوني الطاغية.....	46
ثانيا:	المكان والوطن في الرواية.....	48
1.	المدينة.....	49

49	1.1. فلسطين
51	2.1. غزة
52	3.1. عكا
53	2. البيت
55	3. الشوارع والطرق
56	4. الجبل
57	5. المقبرة
58	خاتمة
60	قائمة المصادر والمراجع
65	فهرس المحتويات

ملخص

الحمد لله رب العالمين

ملخص :

يعتبر موضوع الوطن من أهم المواضيع التي تناولها الأدباء العرب كونه يشكل هوية الإنسان وانتماءه والوطنية هي تلك المشاعر الصادقة التي يعبر بها الفرد تجاه وطنه لذلك جاءت دراسة موضوع الارتباط بالوطن في رواية " أرض البرتقال الحزين" لغسان كنفاني سعياً للكشف عن مدى تفوق الكاتب في رصد الواقع الذي يعيشه الفرد الفلسطيني داخل وطنه وكيف استطاعت شخصيات وأماكن هاته الرواية التعبير عن الوطن، وقد تضمن هذا الموضوع فصلين أحدهما نظري والآخر تطبيقي مع مدخل حول الرواية.

حيث تركز الحديث حول مفهوم الوطن والوطنية وتجلياتها في أعمال الأدباء العرب بالإضافة إلى لمحة عن أدب غسان كنفاني والتزامه بالقضية الفلسطينية.

كما تناولت الدراسة الشخصيات والأمكنة الموظفة في الرواية بهدف معرفة مدى تجسيدها للوطن وكيف استطاع غسان أن يعبر عن واقعه من خلال هاته الشخصيات والأمكنة.

الكلمات المفتاحية: الوطن، الشخصيات، المكان.

Résumé :

" la patrie" est l'un des sujets les plus abordés par les écrivains arabes parce qu'elle forme la personnalité de l'homme et ses racines. Le patriotisme est ces sentiments fidèles à travers lesquels l'homme peut s'exprimer envers sa patrie .Par conséquent Ghassen Kenfani a étudié l'amour de la patrie dans son roman , la terre des oranges tristes dans lequel il a essayé de montrer comment l'écrivain a réussi de relater la situation vécue par l'individu palestinien dans son pays et comment les personnages et les lieux de ce roman ont pu s'exprimer de leur patrie .cet étude comporte deux parties l'un théorique et l' autre pratique avec un préambule sur le roman . La notion de la patrie et le patriotisme et leur influence sur les œuvres des hommes de lettres arabes est le thème le plus aborde. En plus il y a un petit résumé sur la littérature de " Ghassen Kenfani " et son attachement avec la thèse palestinienne. Cet étude a traite les personnages et les lieux de ce roman pour connaître comment ils ont put identifier . La patrie et aussi comme Ghassen Kenfani a put relater sa situation à travers ces personnage et ces lieux .

Mots clés: patrie, personnages, lieu.